روايات الهلال للأولاد والبنات

سلسلة تاريخ مصر

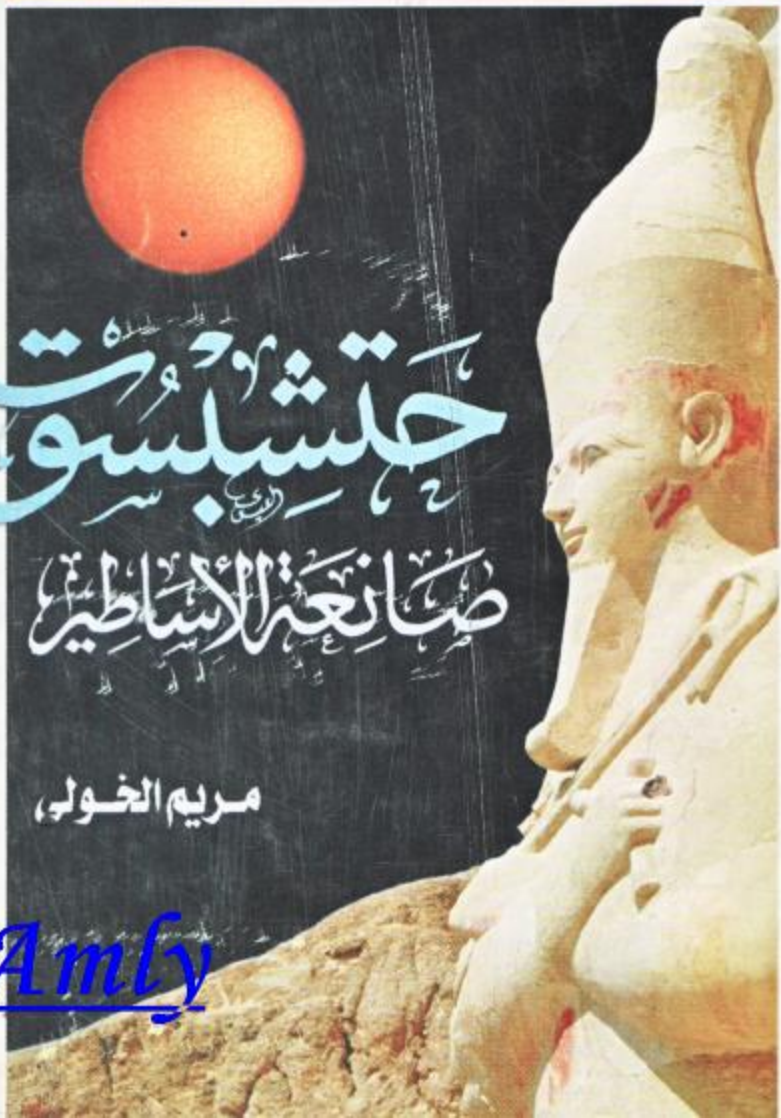

حتشبسوت

صانعة الأساطير

مريم الخولي

Amly

روايات الهلال للأولاد والبنات

سلسلة تاريخ مصر

حتشبسوت
صانعة الأساطير

مريم الخولى

دار الهلال

استمتع بقراءة هذا العدد من ..

سلسلة تاريخ مصر

فى ..

روايات الهلال للأولاد والبنات

تصدر فى من كل شهر — الثمن جنيهات

لأول مرة فى العالم
أمة تكتب تاريخها بالأدب

روايات .. مسرحيات .. مسرحيات شعرية
يكتبها نخبة من الأدباء المتميزين

رئيس مجلس الإدارة
عبد القادر شهيب

رئيس التحرير
محمد الشافعى

حقوق محفوظة

قبل أن تقرأ

التاريخ لم ولن يكون مجرد حواديت نتسلى بها قبل النوم .. ولكنه المؤشر الأهم الذى يحكم على مدى ثراء أو إفلاس الأمم والشعوب.. فالأمة التى تمتلك التاريخ والحضارة هى الأكثر ثراء وعراقة ولذلك تصبح مثل هذه الأمم مستهدفة ممن لايملكون التاريخ والعراقة.. وربما يفسر لنا هذا تلك الحملة الشرسة ضد بؤرة التاريخ والحضارة والمتمثلة فى العالم العربى.. تلك الحملة التى تتلخص فى (قائمة) من المطالب تبدأ بتجديد الخطاب الدينى وتنتهى - ربما - بتجديد الخريطة الوراثية لشعوب هذه المنصقة..! ومن المؤسف أن البعض منا إما عن قصد أو عدم معرفة يشارك فى هذه الحملة الشرسة وذلك بتهميش أو إلغاء التاريخ والجغرافيا فى التعليم والإعلام مما يمثل أكبر الخطر على (الذاكرة الوطنية) لدى الأجيال الجديدة من الأطفال والشباب .. ولكى نتصدى لمحاولات (تجريف الوعى الوطنى) وإنتشار (الأمية الوطنية) كانت فكرتنا الجديدة فى الجمع ما بين التاريخ والأدب فى (سلسلة تاريخ مصر) .. تلك السلسلة التى يشارك فى كتابتها مجموعة من ألمع أدباء مصر - وتأتى كأول محاولة - ربما فى العالم كله لأن تكتب أمة تاريخها بالأدب .. وتهدف إلى الحفاظ على التاريخ وتقديم النموذج الذى يحتذى، والشحن بالتحدى والإرادة لصناعة مستقبل لايخجل منه التاريخ .

رئيس التحرير

المرأة الحديدية

المرأة – إن أرادت – هى الكائن الرقيق الذى يفيض بهجة ورقة وعذوبة.. ويملأ الدنيا حبا وحنانا ورومانسية.. وهى أيضا – إن أرادات – الكائن الخشن الذى يفيض نكداً وخشونة وعبوساً ويملأ الدنيا صداً وهجراناً وكآبة.

وبعيداً عن حديث المشاعر.. فالمرأة الرقيقة لا تمنعها رقتها من القدرة على التنافس والعمل والانجاز.. وقد شهد العصر الحديث أكثر من امرأة ممن يطلق عليهن «المرأة الحديدية» ويأتى فى مقدمتهن أنديرا غاندى «الهند»، مارجريت تاتشر «إنجلترا»، ومن المؤسف أن وطننا العربى لم يشهد مثل هذه المرأة خاصة فى عالم السياسة بينما فى عالم الفكر والإبداع لدينا أكثر من نموذج مثل أمينة السعيد وسهير القلماوى.. إلخ، والغريب أننا أصحاب الريادة فى تقديم نموذج «المرأة الحديدية» فى عالم السياسة إلى الدنيا كلها.. فلدينا ست نساء قد حكمن مصر القديمة خلال الأسرات الأولى والرابعة والسادسة والثانية عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة.. ولكن أشهرهن وأقواهن الملكة حتشبسوت التى حكمت أكثر من عشرين عاماً كفرعون من فراعنة الأسرة ١٨ خلال العصر الذهبى للدولة المصرية.. واتسمت حتشبسوت بقوة الشخصية وحكمت مصر فى البداية كوصية على عرش ابن زوجها «تحتمس الثالث» – ثم حملت لقب الفرعون من خلال قصة «الولادة الإلهية» حيث إدعت أن الإله آمون هو أبوها الفعلى وليس «تحتمس الأول» وذلك لإيجاد نوع من شرعية الحكم الذى لا يستطيع أى إنسان أن يرفضه.. وقد فعل الشىء نفسه – قبل حتشبسوت – «أمنحتب الثالث» الذى سجل فى معبد

الأقصر أنه ابن آمون من زوجته البشرية حتى يحكم مصر لأن أمه لم تكن مصرية.. وبشكل عام فإن قصص نسب الفراعنة للألهة تسمى بالميلاد الإلهى وهى قصص كثر اختلاقها فى عصر الدولة الحديثة لاكتساب شرعية الحكم.. وقد رفض المصريون فى البداية حتشبسوت كفرعون ليس لأنها امرأة فقط ولكن لأنها استولت على العرش بخروجها على التقاليد الملكية.. ورغم ذلك كان عهدها من أزهى عصور الدولة حيث عاشت مصر فى حالة استقرار داخلى وخارجى وازدهرت فيه التجارة حتى أن أسطولها وصل «بلاد بونت».

وحتشبسوت أو «ماعت كارع» والتى عاشت حوالى ١٥٠٢ - ١٤٨٢ ق. م خامس ملوك الأسرة ١٨ «الدولة الحديثة» وهى ابنة تحتمس الأول والملكة أحمس وزوجة تحتمس الثانى وأم الأميرة نفرو رع.. وكانت فى عصر أبيها زوجة إلهية «موت نثر» لآمون وهو لقب ذو دلالة دينية ويعبر عن أهمية كبيرة ومكانة سياسية أكبر.

وقد بدأت الحكم كوصية على تحتمس الثالث الأمير الصغير.. وقد قنعت فى البداية أن تكون خلفه كزوجة ملكية كبرى لتحتمس الثانى «والد تحتمس الثالث» واستمر هذا الحكم المشترك لمدة عامين فقط.. وقد اتخذت حتشبسوت لنفسها كل الألقاب الملكية وارتدت زى الرجال ولحاهم وذيول الثيران والتيجان الملكية.

وقد أرخت لحكمها منذ بدايتها كوصية على تحتمس الثالث.. ورغم اختفاء تحتمس الثالث بعد عامين إلا أنه قد عاد للظهور مرة أخرى فى العام العشرين من حكم حتشبسوت حيث ظهر مساوياً لها فى المكانة من خلال التماثيل.. وبعد عامين فقط من ظهوره تختفى حتشبسوت

تماماً ليبدأ تحتمس الثالث فترة حكمه منفرداً.. وقد قضى تحتمس الثالث العشرين عاماً من حكم حتشبسوت قائداً عسكريا حتى عاد إلى حكم البلاد سلمياً.. وقد ذهب علماء التاريخ إلى أن حتشبسوت قد قامت بانقلابها على الحكم الشرعى لتحتمس الثالث بمساعدة كبار رجال الدولة.. الذين ألفوا لها قصة زيارة آمون لمخدع أمها فى صورة أبيها تحتمس الأول وانجابه لها «ولادة مقدسة» وقد تم تصوير ذلك على جدران معبدها الرائع فى الدير البحرى غربى الأقصر.. ورغم الاستقرار الذى شهدته مصر خلال حكم حتشبسوت إلا أن عمقها الاستراتيجى قد انحصر فى جنوبى فلسطين وقد استبدلت الأعمال العسكرية بأعمال البناء والتشييد.. حيث أقامت حتشبسوت «قصر ماعت» فى المقصورة الحمراء بمعبد الكرنك .. كما أقامت مجموعة من الحجرات ومسلتين شرقى الكرنك.. كما أقامت البيلون الثامن ومقاصير لزورق آمون بين معبدى الكرنك والأقصر.. كما أقامت معبداً للألهة المحلية فى جزيرة إليفانتين.. ولها أقدم معبد مصرى محفور فى الصخر فى بنى حسن بمحافظة المنيا.. وقد سجلت على جدران معبدها تفاصيل رحلتها البحرية إلى بلاد بونت «اليمن وجيبوتى حاليا» ثم عودتها محملة بخيرات هذه البلاد.

وبعد اختفاء حتشبسوت وتولى تحتمس الثالث الحكم منفرداً عمل على استكمال وتوسعة بعض مبانى حتشبسوت ولكنه فجأة وفى العام ٤٢ من حكمه «العام ٢٢ من حكمه المنفصل بعد وفاتها» أمر بإزالة اسمها وهدم آثارها ويظهر ذلك واضحاً فى معبدها بالدير البحرى فى البر الغربى بالأقصر.. ولم يتوقف عند تشويه آثارها بل أمر بمهاجمة

مقابر رجالها.. وبعد ذلك تم إهمال اسمها من الوضع فى قوائم الملوك.

وقد حرصت حتشبسوت على بناء مقبرتين الأولى لها وهى مجرد زوجة ملكية فى الدير البحرى والثانية هى المقبرة رقم ٢٠ فى وادى الملوك وكانت هذه المقبرة فى البداية لأبيها وعثر فيها على تابوت مخصص لها.. وقد نسبت لها مومياء سيدة عثر عليها فى المقبرة رقم ٢١ بوادى الملوك وقد تأكد هذا الأمر بعد استخدام الـD. N. A فى كشف أثرى كبير قاده الدكتور زاهى حواس.. وتم تخليد اسم حتشبسوت من خلال العديد من التماثيل الجميلة وبعضها يصورها وهى تقدم القرابين لأبيها آمون وبعضها يصورها فى شكل أبى الهول.

وهكذا فإن قصة حتشبسوت تمثل رحلة صعود امرأة اتسمت بالقوة والحنكة والقدرة على تدبير المؤامرات والدسائس لتحكم أكثر من عشرين سنة ورغم أنها كانت طوال الوقت المرأة الحديدية، إلا أنها لم تنس أبداً أنها امرأة تتسم بالرقة والرومانسية وقد تجسد كل هذا فى معبدها الرائع الدير البحرى بالبر الغربى بالأقصر.. فهل تتعلم نساء العصر الحالى أن القدرة على الانجاز تتطلب قدرات عقلية وإنسانية لا تفرق بين رجل وامرأة بل تنصاع دوماً لمن يملك الإرادة. والقدرة على الإصرار والمثابرة والرغبة فى حفر إسمه بأحرف من نور على جدران الزمن.

محمدالشافعى

الفصل الأول

مولد ملكة:

في الزمن الذى ولدت فيه حتشبسوت ، لم تكن طيبة قد أصبحت بعد المدينة الكبرى ذات الأبواب المائة أو العاصمة الكبرى بل كانت تحتفظ بطابعها الريفى فكانت تمتد شرق الكرنك الحالى وكان معبد الأقصر ، معبداً صغيراً . وفى المدينة كانت الموانى تزدحم بالناس وبالسفن العائدة من سوريا بعد الحملات المنتصرة التى حققها الملك .

قد تأثرت طفولة حتشبسوت تأثرا عميقا بصورة الأب وقربها منه جعلتها تكتسب شخصية قوية .. ولكن مات تحتمس الأول بعد حكم استمر عشر سنوات فقط ولكنه توج بالنصر ، فلقد عمل على توسيع حدود مصر حتى جنوب النوبة وشمال آسيا وتوغل حتى الفرات .

وبالنسبة للأم وتأثيرها على حتشبسوت ، فكانت الملكة أحمس توصف بأنها سيدة الرقة والنعومة المفعمة بالحب .. لقد عاشت طويلا دون أن تلفت الأنظار .. ماتت بعد أن تزوجت حتشبسوت من تحتمس الثانى ..

ولكن هناك قصة أخرى خاصة بمولد حتشبسوت قامت بتأليفها لكى تدعم موقفها كحاكم مصر بعد توليها العرش . فقد أمرت بأن ينقش نص بارز على جدران الدير البحرى لأسطورة تؤكد بأنها من سلالة الآلهة بالاضافة إلى سلالتها الملكية . تقول الاسطورة أن تحتمس الأول ليس أباها بل إنها إبنة الاله آمون – الذى تجسد من أجل أن ينجبها – فى صورة تحتمس الأول الدنيوية . يقول آمون

في هذا النص «سوف تمارس حكما ملكيا خيرا فى كافة أنحاء البلاد ولها روحي ، ولها مقدرتي ، وإجلالي ، وتاجي الأبيض ولا شك في أنها سوف تحكم القطرين وستكون ذات فائدة لكافة الأحياء .. إنني أمنحها كل الحياة ، والاستقرار والصحة .. سلاما ، أيتها الابنة التي انبثقت من جسدى ، الصورة المتألقة التى تسودين القطرين فوق عرش حورس مثل رع» .

أسرة ريفية فى طيبة

«تسورى» ، شاب فى ربيع العمر ، يجلس القرفصاء أمام منزله ، منهمكاً فى تصليح شباك الصيد .. بجواره صديقه وجاره «يويا» الذى يضع اللمسات الأخيرة لقارب صغير صنعه من الخوص ، فقد ضم مجموعة من أفرع البردى معا .. يحاول الآن أن يرفع المقدمة والمؤخرة كى تشبه المراكب التى يراها فى النيل أو فى ميناء الكرنك .

حينئذ خرجت «نيتوكاو» ، والدة «تسورى» وقالت للفتى :

– أبدعت يا «يويا» . أنت فتى ماهر فعلا فى صناعة المراكب .. لماذا لا تصنع واحدا «لرايا» ؟

تدخل «تسورى» قائلا :

– «رايا» مازال صغيرا يا أمى ولا يعرف كيف يتعامل مع الأشياء .. سوف يدمر المركب بعد لحظات !

جاء «رايا» عندما سمع اسمه وأيقن على الفور أن الشابين ذاهبان إلى الشاطىء .. فصاح :

– أنا .. أنا .. «تسورى» .

قالت «نيتوكاو» .

– لا يا «رايا» أنت مازلت صغيرا ولا تعرف السباحة ، ستبقى معى وتساعدنى فى إطعام الاوزة .

ثم نظرت «لتسورى» وحذرته :

– أرجوك يا ابنى ، لا تقترب من العشب فى النيل لأن التماسيح تختبىء فيه ، كم من رجال القرية وبالذات الصيادين ، ماتوا وهم يقومون بصيد الأسماك والبط البرى .. إن فك «سوبك»* سلاح جبار ، وأيضا هناك فرس النهر الذى يثور بلا سبب أحيانا ..

سوبك : اسم التمساح واسم الاله التمساح.

– لا تخافى يا أمى .. أصدقائى يسمونني «تسورى الصقر» لأنني أرى الأشياء عن بعد .

ثم يقول لأخيه الصغير :

– عندما أعود ، سوف نجلس ونلعب كما تشاء فجأة ، انطلقت صرخة من «نيتوكاو» وجلست على المصطبة وهى تمسك ببطنها وعلامات الألم على وجهها .. اندفع نحوها «تسورى» .

– ماذا بك يا أمى ؟ هل أنت على وشك الولادة ؟

– لا أعتقد أنها الآم الولادة .. لا تقلق ، أنا بخير . اذهب أنت الآن مع «يويا» ، لعلكما تعودان ببعض الأسماك للغداء ..

يصل الفتيان إلى شاطىء النيل . عدد من شباب القرية يسبحون فى مياهه الرطبة المنعشة التى تطفىء حرارة الجو.

الجميع يخرجون من النيل عندما يشاهدون «يويا» ممسكا بالقارب .. يقتربون منه :

– ما هذا ؟ قارب من البردى ؟ كيف صنعته ؟ هيا نجربه ! يضع «يويا» القارب بحذر على سطح الماء ، فيهتف الشباب تحية له. تقترب منهم مجموعة أخرى من الفتيات .. الجميع يريد دفع القارب .. حركاتهم العنيفة جعلت القارب يمتلىء بالماء ويغرق ولكن «يويا» تمكن من انتشاله من الغرق وجلس به على الشاطىء وهو غاضب مما حدث . يداعبه «تسورى» بلطف ويواسيه . تقترب منهم فتاة من تلك المجموعة وتقول «ليويا» بصوت رقيق :

– نحن تسببنا فى إيذائك .. لا تغضب منا .. بإمكانك عمل قارب آخر أجمل منه .

نظر إليها «يويا» و«تسورى» ، بتمعن : فهى فتاة غريبة عن القرية . وجهها فيه نضارة الشباب وروح الطفولة رغم ظهور علامات الأنوثة المبكرة .. فقد وضعت فى شعرها وردة لوتس بيضاء أبرزت شعرها الغزير الفاحم السواد .. ارتسمت على وجهها ابتسامة مليئة بالحنان والطيبة .

يسألها «تسورى» .

– هل أنت من قريتنا ؟ لم أرك من قبل

فأجابت :

– لا .. أنا من أبيدوس .. أتيت مع أبي لزيارة خالي ولحضور الاحتفال الذى سيقام بمناسبة عودة اسطول الملكة من رحلتها الأخيرة .

عاد «تسورى» يسألها مرة أخرى :

– من هو خالك ؟

– اسمه «باناب» وهو يسكن بجوار العمدة .

صاح يويا وتسورى معاً

– عم باناب ! إنه صديق أبي .

تذكر «يويا» أن صديقه لم يرم شباكه ولم يحصل على سمكة واحدة ، فامسك بذراعه قائلا

– هيا بنا الآن يا تسورى

ثم استدار وقال للفتاة

– سنعود غدا .. وأنت ؟

– بالطبع ، ليس لدى شيء آخر .

وقبل مغادة المكان تذكر تسورى أن يسألها عن اسمها .

فأجابت :

– اسمي مريت

– إلي اللقاء غدا ..

يمشى «تسورى» شارداً بجوار «يويا».

يسأله «يويا» عن السبب

أنت تسألني عن السبب يا «يويا» ؟ يبدو إنك لا تبالى إلا بالسفن والمراكب وتقضى كل وقت فراغك تراقبهم فى النيل .. ألم تلاحظ جمال تلك الفتاة ؟ أنا شخصيا لم أر فى حياتى جمالاً مثل جمال مريت وهاتين العينين السوداوتين اللامعتين !

– أنا متفق معاك ، إنها فعلا جميلة .. والآن ، ماذا نفعل : نقوم بالصيد أم نعود إلي المنزل ؟

– من الأفضل أن نعود ، أخشي أن تكون أمي محتاجة مساعدة ..

– حسنا ، سوف أراك هنا غدا .

مولود جديد فى أسرة جاحوتى

عاد جاحوتي ، والد رايا وتسورى ، من الحقل وحماره محملاً بخضراوات الموسم التى يزرعها للإستهلاك العائلي .. فلابد من وجود البصل الأخضر والثوم علي المائدة كل يوم مع طبق الفول أو العدس .. وأيضا النعناع ، الذى سيزيل أى رائحة من الفم .

لم ير جاحوتى زوجته «نيتوكاو» نادى عليها فلم يسمع شيئا سوى آهات كأنها صراخ الآم . فاتجه فوراً عند «مقصورة» الولادة التى قد صنعها بنفسه من أغصان البردى منذ إختفاء القمر . وقد قام هو و«تسورى» بتزين حوائطها باللبلاب ووضعا على جدران الكوخ باقات من الزهور وتماثيلاً للالهه «تاورت» حارسة وإلهة الأمهات المنتظرات .. لم ينس أيضا «بس» الإله المرح الذى يبعد الأرواح الشريرة أثناء الولادة «وحكت» الاله الضفدع التى تسهل الولادة .

ابتسم «جاحوتى» لعله يزرق اليوم ببنت كما يتوقع بعدما قام بالتجربة التى اعتاد أهل القرية بالقيام بها قبل الولادة لمعرفة نوع الجنين وهو أن تتبول المرأة على بذور القمح والشعير ، فإذا أنبتت بذور القمح أولا يرجح أن يكون الجنين بنتا ، أما إذا أنبت الشعير فيتوقع ولادة طفل ذكر .

أسرع «جاحوتي» إلي المقصورة للاطمئنان علي الأمور وسأل من خلف الباب النسوة إذا كن يحتجن إلى شيء .. فكانت الاجابة بالنفي حيث كانت «نيتوكاو» محاطة بالأقارب والجيران جاء «تسورى» فى هذه اللحظة وفهم على الفور أن هناك أحداثاً غير عادية ، فحمار ابيه مازال محملا بالخضار ووالده يجلس شارد ، يتمتم بعبارات الستر فسأله :

– ماذا بك يا أبى ؟!

– أمك على وشك الوضع ، فهى الآن فى كوخ الولادة .

– هل هناك خطر علي حياتها ؟

– لا يا ولدى ، فـالالهـة «تاورت» و«حكت» والاله «بس» حولها .. من الآن ، يا «تسورى» ، سنقوم ببعض الأعمال فى المنزل حتى تخرج أمك .

– ومتى ستخرج ؟

– بعد خمسة عشر يوماً

– هل ستبقى هنا غدا يا أبى ؟

– لا ، غدا سأذهب إلى الحقل لزراعة الكتان فى الأراضى العليا التى لم يصل إليها مياه الفيضان لكى نحصده بعد انحسار مياه الفيضان و ...

سكت «جاحوتى» عندما سمع صراخ المولود ، اندفع عند الكوخ وسأل :

– بنت أم ولد ؟

– بنت !

فرح لأن أمنيته تحققت ، لذلك قرر الذهاب فى الصباح الباكر إلى المعبد الصغير ليقدم قرابين الشكر بأسم المولود الجديد .

– ما رأيك يا أبى لو سميناها «مريت» ؟

– سأسأل الآلهة أن تلهمنى اسماً لها .

★★★

فى اليوم التالى ، ذهب «يويا» مع «رخت» إلى النهر ومعهما شباك الصيد . التقى بهما «تسورى» وأعلن الخبر السعيد للشباب .

– أصبحت الآن مسئولاً عن أخ وأخت !

لم يعلق «تسورى» لأنه كان يبحث عن «مريت» فلم يجدها . بهتت ابتسامته وتصلب وجهه .. ثم سمع صوتا يغرد من بين الأغصان ويقول :

لا تتركنى
قلبى يتوقف
لمجرد التفكير فى بعدك
ومذاق الكعك الشهى
كالملح فى فمى
إنك أنت الذى يحيينى
وحتى أحظى بقربك
فأنا أدعو آمون
الاله الطيب
أن تكون لى إلى آخر الدهر * .

تأثر «تسورى» بهذه الكلمات وتخيل أنها موجهة إليه .. فرأى نفسه فى قارب صغير و«مريت» جالسة أمامه ، تمسك بآلة «الهارب» وتعزف عليه نفس اللحن .

ترفرف الطيور حولهما ، راقصة علي نغمات الصوت ، وتجلس العصافير بلا خوف على طرف القارب ، تقترب الفراشات الملونة

وتتوج رأس «مريت» ، وبينما يشق القارب المياه الساكنة ينحنى ورد اللوتس تحية لهما وينثر عليهما عطره الساحر..

أيقظه نخت من أحلامه الوردية سائلا :

– أين نبدأ الصيد ؟

أجاب «يويا»

– في رأيي أن المكان لا يسمح بالصيد ، فهو مزدحم بالشباب وبالضجيج .. لابد وأن نجد مكانا هادئا .

★★★

فى غياب الأم

في اليوم التالي ، لم يذهب «تسورى» إلي النهر كان عليه أن يقوم بطحن القمح الذى تركه «جاحوتى» قبل ذهابه إلى الحقول . جلس الفتى على الأرض وبدأ يأخذ فى كفه قلاً من القمح ليضعه في وسط الرحاية ثم أمسك باليد الخشبية لكى يدير الحجر ليخرج الحب مجروش فيضعه مرة أخرى فى الرحاية يحصل على دقيق القمح . ثم ظهر «رايا» وصمم أن يساعد أخاه رغم اعتراض «تسورى» لأن الحبوب كانت تتساقط من كفيه الصغيرتين . فصرخ الأخ الكبير قائلا :

– ابعد عنى يا «رايا» .،أوقعت نصف القمح على الأرض !

– لا أنا أعرف !

– «جاحوتى» سيأتى بعد قليل ويغضب منا لأننا لم نحافظ على القمح الذى لابد وأن يكفينا حتى المحصول القادم ، هل ممكن أن تمسك هذا الفرع وتبعد به تلك العصافير المتوحشة ؟

تأتي امرأة مسنة من المقصورة وتسأل «تسورى» إن كان قد انتهي من طحن القمح لكي تقوم بعجنه وتخبزه .

– لا يا خالتي ، إنني لم أطحن ما يكفي ، ولكن سوف أجتهد .

يحضر «يويا» و«نخت» إلي منزل «تسورى» للاستفسار عن غيابه .. وعندما رآياه منهمكا فى عمله ، لم يترددا فى مساعدته وقاما بطحن القمح بالتوالى .

سألهم «تسورى» عن «مريت» وقال :

– كم كنت أتمنى أن أقول لها عبارات جميلة تعبر عن إعجابى بها .

أردف «نخت» قائلا :

– تستطيع أن تقول ما فى قلبك مباشرة دون أن تفكر كثيرا .

– كيف أستطيع اختيار الكلمات المناسبة وأنا فلاح ابن فلاح ، لا أستطيع القراءة والكتابة ولا أعلم شيئا عن «الميدونتر» ! *

ليتني كنت كاتبا ! ولكن لا أحد في عائلتنا يعمل فى الديوان الملكى ولا أحد فى منصب وزير ولا يملك أبى ثروة لإرسالى إلى فصول الكتبة الملحقة بالمعبد .

علق «نخت» بسخرية :

– أنت تحلم بفصول الكتبة ولكنك لا تعلم كيف يعاملون التلميذ ، ألا تسمع المقولة «عقل التلميذ في ظهره» ومعناها أن التلميذ لا يسمع إلا بالضرب ؟ هل تقبل هذا الوضع يا «تسورى» ؟

– لا يهم ! «إن الكاتب علي رأس كل الوظائف» كما يقول أبي فهم أكثر أعضاء المجتمع احتراما ويستطعون الصعود إلي مراكز السلطة ، ولعلمك ، إنهم يتعلمون أيضا الغناء علي الارغول والترنيم مع القيثار ..

يتدخل يويا قائلا :

– أنا شخصيا أرى أن أحسن الوظائف هو العمل علي السفن .

إنتهي «تسورى» من الطحن فأخذ الدقيق إلي الكوخ وسأل من خلف الباب :

ميدونتر : لغة الالهة أى الهيلوغرفية.

– هل تريدين أن أشعل الفرن يا خالتي ؟

– يبدو عليك الجوع يا «تسورى» ولكن لابد أن يختمر العجين فى الشمس أولاً .

حتي يحين موعد الغداء ، قرر تسوري أن يمارس بعض الألعاب، إقترح «نخت» لعبة «المرافق» .. تقدم «تسورى» ووقف أمام «يويا» ، ثم أخذ كل متنافس بعقد يديه خلف عنق الآخر ، ثم بدأت المصارعة حتي فقد «تسورى» توازنه فقال :

– لقد فقدت كل طاقتى فى طحن الحبوب ، بالاضافة إلى شعورى بالجوع الشديد .

جاء دور «نخت» لكى يتنافس مع الفائز – يويا – الذى انتصر مرة أخرى فى لعبة «المرافق» ، بدأ «رايا» يطالب بالاشتراك فى اللعبة .

– أنا ألعب ، أنا ألعب .

قام «تسورى» بإقناعه أنه مازال صغيرا وقصيرا ، فلابد أن يكون المتصارعان فى نفس الطول ، لذلك اقترح «تسورى» بعد ذلك لعبة «صلح» لكى يشاركهم «رايا» الذى أصر أن يبدأ اللعبة . فجلس فى وضع القرفصاء وأغلق عينيه وظهره لرفاقه الذين بدءوا الواحد تلو الآخر يصفعونه من الخلف ، كان عليه أن يتعرف فى كل صفعة من هو الفاعل .

وعندما فشل أكثر من مرة ، بكى بحرارة وسمعه «جاحوتى» العائد من الحقل .

– ماذا بك يا «رايا» ؟

لم يكف الطفل عن البكاء ، فأخذ «تسورى» يشرح لأبيه الموقف ، فأحتضنه الأب وقال له :

– ماذا لو قلت لك إننى أتيت بعسل نحل ؟

سكت رايا على الفور وشقت ابتسامة عريضة وجهه :

– حلوى ! حلوى !

دردشة مع الشباب

جاءت الخالة فى هذه اللحظة ومعها الخبز الساخن ووضعته أمامهم على سلة من الخوص ، كما أحضر «جاحوتى» طبقا من الفخار به قمح وشعير مجروش وحليب ثم أحضر خضراوات ، منها الفجل ، والرجلة والخس .

قال تسورى لأبيه :

– أمس واليوم ، قابلنا على الشاطيء فتاة جاءت من أبيدوس وتسكن عند خالها «باناب» حضرت مع أبيها لكى تحضر الاحتفال الذى سيقام فى طيبة لعودة أسطول حتشبسوت هل سنذهب لنشاهد هذا الحدث يا أبى ؟

– بالطبع يا تسورى ، إنه حدث عظيم لأن ما أنجزته ملكة مصر شرف كبير لنا .. لابد أن يرى أى إنسان المجد الذى حققته .

«ماعت كارع» .

رد الثلاثة فتيان فى صوت واحد :

– ماعت كارع ؟

– إنه إسم من أسماء الملك الخمسة

– كيف لم نسمع بهذا الاحتفال ؟

– لم تأت الفرصة لأننا انشغلنا ببناء مقصورة الولادة ، ثم بالولادة نفسها .

سأل نخت جاحوتي :

– هل رأيت الملكة يا عم جاحوتى ؟

– نعم رأيتها يوم تتويجها ، يوم أصبحت الوسيط بين الآلهة والأحياء .

– كيف تكون الملكة وسيطا ؟

أجاب جاحوتى بفخر :

– بالنسبة لما يخص الآلهة ، عليها أن تبنى لهم معابداً وأن تقدم لهم القرابين من الطيور والحبوب والفواكه لكى يبقى الكون فى توازن واستقرار .

– كيف ؟

– الاستقرار ، هو أمن البلاد : أن تتوقف الحروب الداخلية والاطماع .. ثم أضاف جاحوتى :

– التوازن فى الكون مهم جدا .. معناه أن تأتى مياه الفيضان فى ميعادها ، وأن لا تهتز الأرض وتدمر بيوتنا ومعابدنا ، أن تبتعد أسراب الجراد عن وادى النيل والدلتا .

ثم سأل «يويا» .

–وماذا عن الأحياء .

سكت جاحوتى وقال مبتسما :

– الاحياء يريدون مزيدا من الخبز للاجابة علي هذا السؤال !

إذهب يا تسورى إلى الفرن ولا تعود إلا ومعك عددا من الأرغفة ..

عاد تسورى بعد لحظات ومعه فى السلة خبزا ساخنا ، فأكمل جاحوتى شرحه :

– أما عن مسئوليتها تجاه الاحياء فكان عليها أن ترشد الشعب وأن توسع حدود مصر وأهم شيء أن تطبق العدالة . وعلى عكس أباها لم تقم حتشبسوت حتى الآن بغزوات خارج حدود مصر ، فحكمها يتصف بالحكمة : تفضل السلم وتجديد وإستمرار الفيضان كل عام من أهم واجباتها ، فهذا معناه أن يعم الخير فى بلاد الشمال وبلاد الجنوب ساد الصمت بين الشباب لحظة ، ثم شن تعليق تسورى هذا الصمت :

– لدى إحساس أن «مات كارع» تشبه «مريت» .

ضحك جاحوتى وقال لابنه :

– إسمها «ماعت كارع» يا ولدى ، ومن هى «مريت» التى تقارنها بابنة الاله آمون ؟

– «مريت» هى تلك الفتاة التى أتت من أبيدوس ، إنها رائعة الجمال يا أبى !

– ولكن ملكتنا لا تقارن بأحد .. وأنا لا أستطيع أن أحكم بالنسبة للشبه حيث لم أر «مريت» ولكن لو كانت تشبه خالها «باناب» فهي ليست جميلة علي الإطلاق !

أما بالنسبة لحتشبسوت ، فلم أرها منذ سبع سنوات :

منذ تتويجها .. ولكنى أتذكر امرأة شابة ، رشيقة ، ذات مظهر ممشوق ، لكن أنفها يميل قليلا إلى الضخامة . أما فمها فهو دقيق وعيناها منحرفتان قليلا إلى أعلا ..

فهى تسحر المشاهد بنصف ابتسامة ، فهى تتسم بالهدوء والرزانة، وهناك شبه كبير بينها وبين تحتمس الثالث ، ابن زوجها تحتمس الثانى .

– كيف يا عم جاحوتى ؟

– ليس هذا غريب ، حيث أن تحتمس الثانى ، زوجها ، هو أيضا أخ غير شقيق لحتشبسوت .. هذا الابن من زوجة أخرى .

– ومتى الاحتفال يا أبى ؟

– ألم تسألوا مريت ؟

إنفجرت المجموعة ضحكا .. ثم قام جاحوتى لإطعام حماره بما تبقى من الخضراوات .. يبقى يويا جالسا فى مكانه ، شارد الذهن . فسأله «نخت» .

– ماذا بك يا يويا ؟

– إننى أفكر فى تلك الرحلة البحرية .. كم كنت أتمنى أن أتواجد على ظهر إحدى السفن التى أبحرت فى تلك المناطق البعيدة والمجهولة ، وأمسك بالشراع وأسمع صوت الجدافين وهم يعملون بصوت واحد ، وأمسك بالدفة أحيانا ، واسمع الحكاوى الشيقة التى يرويها البحارة !

صمت يويا ثم أضاف بصوت حزين

– كل هذا مجرد حلم كما يحلم تسورى أن يكون كاتبا .

يعود جاحوتى ويقول للشباب :

– الاحتفال بعد عشرة أيام ، ثم نظر لتسورى قائلا :

– لابد وأن تجتهد هذه الأيام لجمع محصول القمح فمسئول خزائن الغلال سيحضر بعد أيام ليأخذ المحصول ، أعنى الخاص بالدولة .

أردف «نخت» قائلا :

– يقول أبى أن مقياس النيل يبشر بأن الفيضان سيأتى بمياه غزيرة هذا العام .

– نشكر «هابى» * بفضله علينا .

★★★

هابى : إله الفيضان.
غنخ = أى الحياة الأبدية .

حفلة التتويج

يتم المشهد فى قاعة القصر المخصصة لاحتفالات التتويج ، يبدو الملك تحتمس الأول وهو جالس على عرش تزينه نبات الجنوب والشمال . ويبدو الملك وهو يشرح لابنته أن الوقت قد حان من أجل أن ترتقى العرش . وتظهر حتشبسوت هنا فى صورة شاب ويمسكها الملك من كتفها الأيمن وذراعها ، ثم يجعل حتشبسوت تصعد على المنصة .

وقد استدعى جلالته جميع نبلاء الدولة ، وكبار موظفى البلاط وعلية القوم من أجل أن يحيطهم علما بالمرسوم الملكى وينطبق الملك بهذه الكلمات «هذه الابنة حتشبسوت» متعت بالحياة ، أننى أضعها مكاني ، إنها هي الحقيقة التى سوف تشغل عرشى ، وستعطى أوامرها إلى الرعايا فى كل مكان ، هى التى سوف ترشدكم ، وسوف ينصتون لكلامها ، وأقر كبار القوم بحتشبسوت كملك علي البلاد ، ثم قبلوا الأرض تحت قدميها وخرجوا مسرورين ورقصوا وصلوا وأمر جلالة الملك تحتمس الأول باستدعاء الكهنة المرتلين من أجل إعلان تلك الاسماء العظمي الخاصة بابنته ، المرتبطة بمنصبها كملك لمصر العليا والسفلي ، وذلك من أجل تسجيلها على كافة الأعمال الإنشائية وكان الاختتام ثم اتجهت حتشبسوت إلى معبد الجنوب (فى طيبة) وسكب الكهنة الماء عليها بواسطة آنية على هيئة علامة العنخ* .

كانت حتشبسوت لا تزال صبية صغيرة فى هذا اليوم الذى اصبحت فيه ملكا وكان فى اليوم الأول من السنة – أى اليوم الأول للفيضان .

بونت : منطقة الصومال.
نفرت : جميل.

اقتراب موسم الحصاد

في الأيام التالية ذهب تسورى مع أبيه إلى الحقل وقاما بجمع القمح الذى اكتمل نضجه تماما وأوشكت السنابل أن تفرغ حبوبها في الأرض .. كان يبدو الارهاق عليهما من شدة الحرارة .

التقي بهم «يويا» وكان على وجهه علامات السرور والفخر لأنه عاد من النهر وسلته مملؤة بالسمك البلطى .

– اليوم باركت الآلهة الصيد .. جئت – لك يا عمى .

– أشكرك يا أبني ، ليس هناك أشهي من أكل السمك الطازج .. ولكن عليك أن تحتفظ بجزء لعائلتك نظر تسورى لصديقه وقال له بسخرية :

– ما هذه المعجزة ؟ إنك لم تصطاد حتى ضفضعة !

ثم أردف :

– أنا أيضا ، نزل عليّ الالهام اليوم .. ألفّت أبياتا من الشعر لمريت .

– ما هى ؟

– لا .. لا استطيع ..

– أرجوك يا تسورى ، ثم لابد أن يقيم أحد أشعارك .. ربما ستكون الشاعر الرسمى لقريتنا !

– كفى .. كفى .. هذه هى الاشعار التى سأقولها لمريت :

تأسرتى بخصلات شعرها الفاحم
وتصنع لى فخا بعينيها
ألتهم الطعم وأقع فى شباكها
أما حديثها
فهو الذى يقضى على أى أمل فى الخلاص
واجد نفسى واقع فى حبالها
وقد دمغتنى بخاتمها
أسيرا دون فكاك *

– عظيم ! إنه كلام يذوّب الحجر

– حقا ؟ ولكن متى سأقابلها ؟

– فى الاحتفال بكل تأكيد .

صاح جاحوتى :

– اذهب إلى دارك يا يويا ، فالجو شديد الحرارة وقد يتلف السمك ، لذلك يجب أكله فورا أو وضعه فى الملح .. إذهب وكفى ثرثرة مع تسورى .. لدينا أعمال كثيرة .

قبل مغادرتهما ، أخرج «يويا» ثلاث سمكات من السلة واحتفظ بالباقى .

سأله تسورى إن كان سيحضر الاحتفال فأجاب

– بالطبع مع كل أفراد الأسرة .

أردف جاحوتى :

– كل أهل القرية وحتى القرى البعيدة ستتجمع فى الصباح الباكر بجوار الكرنك حيث مكان الاحتفال .

* أشعار الحب فى مصر القديمة» بقلم فكرى حسن .

– وماذا عن أمى ؟

– ستحضر معنا وأختك أيضا لكى تـــرى ما لم يره أحد من قبل .. تلك الخيرات التى أتت بها سفن «ماعت كارع» من بلاد «بونت» ، فتنال «نفرت بركات إينة آمون .

قال تسورى مبتسما :

– أحسنت الاختيار يا أبى ، اسم «نفرت» مميز .. ولكن هل ستكون جميلة حقا ؟

– كيف تظن يا تسورى ألا تكون أختك جميلة .. أليس لديك عينان لترى جمال أمك ؟

النزهة الأولى لنفرت

فى اليوم الرابع عشر، خرجت «نيتوكاو» من المقصورة بعد شروق الشمس بقليل .. كان جاحوتى، تسورى ورايا ينتظرون تلك اللحظة، خرجت «نيتوكاو» وهى تحتضن إبنتها، فالتف الجميع حولها ليروا المولودة «نفرت» .. كانت عينيها مغلقتان وكأنها مازالت نائمة فى أحشاء أمها.. ومما كانت يلفت النظر، تلك البشرة الوردية، الناعمة فى عنقها، حجاب يحتوى على تميمة تبعد الشر عن الرضيعة والمرضعة . لم ينس جاحوتى وضع كل ما يساعد على الوقاية من الجن فى مدخل المنزل خوفا من الأذى كما فعل لولادة «تسورى» و«رايا» . فقد وضع باقات من البرسيم والثوم وذيل السمكة معلقة فوق الباب .

رفعت «نيتوكاو» جزءا من ملابس ابنتها لكى تداعب أشعة الشمس بشرتها الوردية ، قال لها جاحوتى مبتسما :

– اقترب يا تسورى لترى بنفسك جمال أختك «نفرت» ثم نظر لزوجته وقال لها :

– إن الشمس المشرقة لها مذاق خاص اليوم بوجودك معنا .. هيا نفطر لكى نرحل إلى الكرنك حيث الاحتفال .

اقترب «تسورى» من أمه وقال لها :

– كم أنا سعيد يا أمى .. بك وبأختي.

سألت نيتوكاو :

– أين رايا ؟

كان الصغير جالسا بجوار شجرة الجميز العملاقة التى تغطى المنزل بفروعها .

فهمت «نيتوكاو» على الفور أن «رايا» بدأ يشعر بالغيرة لأن أخته ستأخذ كل الانتباه من الآن، فقالت له :

– أقترب يا «رايا» فإن «نفرت» مشتاقة لرؤيتك.

أضاءت ابتسامة عريضة وجه «رايا» وأضافت الأم :

– أنت الآن الأخ الأكبر بعد «تسورى»، وأنت الذى ستحميها من شقاوة الأطفال .

أدخلت هذه العبارات الطمأنينة فى نفس «رايا»، فأقترب من أخته وفحصها :

– صغيرة .. نونو ..

بدأت العائلة فى تناول الفطور ثم جمعوا أمتعتهم ووضعوها فوق الحمار وساروا فى الطريق المؤدى إلى معبد الكرنك .

سأل «تسورى» أبيه .

– كيف كانت حفلة التتويج يا أبي ؟

– كانت حفلة رائعة ، رغم إننى لم أكن فى الصفوف الأمامية..

كانت لحظات مثيرة خاصة عندما نطق الكاهن الأعظم الأسماء الخمسة العظيمة الخاصة بحتشبسوت .

– ولكنك يا أبى ليس لديك إلا اسماً واحداً .

– نعم، ولكن الوضع يختلف بالنسبة للملوك ، ألقابهم متعددة لأن مسئولياتهم متنوعة .. لم أنس مشهد التطهير الذى تم فى معبد الجنوب رغم مرور سبع سنوات كم كانت حتشبسوت رائعة وهى منحنية لكى يسكب عليها الكاهن الماء بتلك الأنية فى شكل العنخ وهو يقول «أنى أطهرك بهذه المياه المقدسة وأدعو لك بالحياة والاستقرار والدوام والعافية وأن تسعدى بأعياد الـ «سد» مثل رع إلى الأبد.. نظر جاحوتى إلى تسورى وسأله :

– هل تعلم ماهى أعياد الـ «سد» ؟.

– بالطبع يا أبى، أنا لست طفلا .. أبلغ الآن ثمانية عشر فيضان(١) ، «السد» هو مثل إمتحان لصحة الفرعون وفى هذه المناسبة، لابد للفرعون أن يثبت لشعبه أنه في أحسن حال وأن قدراته الجسمانية مازالت قوية. فعليه أن يجرى حول حائط يحدد منطقة ما.

قالت نيتوكاو التى كانت تتابع الحديث :

– ماذا يحدث لو فشل الفرعون فى قطع هذه المسافة ..؟

– أعتقد أنه من المحتم أن يأخذ ابنه مكانه ..

– وهل يتم هذا الامتحان كل عام ؟

(١) بداية السنة كانت تحسب مع أول الفيضان.

– لا بالطبع، فهو كل ثلاثين عاما بالنسبة للعصور القديمة، أما الآن فهى كل خمسة عشر عاما .

صاح تسورى فجأة :

– ها هو «نخت» وعائلته على الجانب الآخر من الترعة .. كانت عائلة نخت تحمل باقة من الزهور وأغصان النخيل كما هو معتاد فى الاحتفالات .

انتظرهم جاحوتى حتى يعبروا الترعة. وعندما تلاقت الأسرتين قدموا التهانى لنيتوكاو ثم انضمت العائلتان حتى وصلوا إلى ساحة الكرنك .

رحلة بلاد بونت (٢)

لاشك أن حملة «بونت» تعتبر أكثر الأحداث إثارة خلال حكم حتشبسوت التى كانت شديدة التدين. فلقد أعلنت «أنها تحب أباها آمون أكثر من جميع الآلهة» فقد قامت بسرد أحداث هذه الحملة على جدران معبدها بالدير البحرى، فتقول أنها سمعت وحيا بصوت الآله آمون يأمرها بأن تتوجه إلى بلاد «بونت» من أجل أن تحضر أشجار البخور والصمغ والعطور اللازمة لممارسة الطقوس الآلهية .

وقد تم هذا فى العام السابع من حكمها ، حينئذ عقد اجتماع مهيب فى قاعة التاجين وكانت حتشبسوت جالسة على عرش مصنوع من الذهب الخالص ووجهت تلك الكلمات إلى الحاضرين «وبذا، فإن جلالتى قد أمرت بالوصول إلى درجات البخور، وأن تخترق الطرق المؤدية إليها، ومعرفة حدودها وفقا لأمر والدى آمون» .

(١) ربما كانت تشمل الجانب الغربى من البحر الأحمر، واريتريا، وشواطىء الصومال

بدأ رجال حتشبسوت رحلتهم من طيبة . وقد تضمنت الحملة خمس سفن (٢١٠) رجال، منهم ٣٠ جدافا لكل سفينة، وفرقة مسلحة صغيرة.

وحملت السفينة تمثالاً من الجرانيت الوردى يمثل الآله آمون وتجلس أمامه الملكة . وكان الغرض منه هو اقامته على ساحل بلاد «بونت» .

أما بالنسبة لخط سير الرحلة، فمن المؤكد، إن هذا الأسطول الصغير قد نزل النيل حتى وادى طميلات فى الدلتا. وقد حفر فى العصور القديمة قناة بين بحيرة التمساح والبحيرات المرة وكانت هذه القناة ذات المياه العذبة، السابقة لقناة السويس، إذن النيل، ثم وادى طيملات، ثم بحيرة التمساح، ثم قناة المياه العذبة، ثم البحيرات المرة والبحر الأحمر .

عند وصول الأسطول، توافد كبار رجال بونت وهم منحنون من أجل استقبال جنود الملك وأدوا تعبدهم لسيد الآلهة، آمون رع ، ثم أقيمت سوق تجارية .

عادت السفن محملة بكميات من خشب الأبنوس وأكداس من جلود الفهود وأنياب الفيلة وحلقات وسبائك من الذهب الخالص، بأشجار البخور الأخضر، والكحل الأسود والراتنج (١) والقرود الأفريقية والكلاب السلوقية وأيضا بالأهالى من الرجال والنساء وأطفالهم .

(١) الصمغ .

الاحتفال

فى ساحة الكرنك، كانت هناك مجاميع من الشعب جاءت من أنحاء البلاد، من مصر الوسطى، من الأشمونين، من أبيدوس، من دندرة، من أرمنت، من اسنا .. وكانت الجماهير تعبر عن فرحتها بالغناء وبدق الطبول والرق .. كما كانت الراقصات ترقص برشاقة فائقة، وكان بعض الفتيان يقمن بحركات بهلاونية صفق لها الجمهور بحرارة .

شعرت نيتوكاو بالاختناق وطلبت من جاحوتى أن يبحث عن مكان آمن لكى يتابعوا مراسم الاحتفال . فوجد جاحوتى تلا مرتفعاً بعيدا عن الزحام المكتظ وخوفا على سلامة الطفلة الرضيعة ، بعد قليل ، انضمت إليهم عائلة «نخت» فجأة هرولت الجماهير فى إتجاه النيل حيث ظهر شراع السفن المنتفخة التى اقتربت تماما من المرسى فدوى صوت البوق تحية لهم .

كان تسورى ونخت قد وصلا عند المرسى .

- ياه .. خمس سفن فى هذا الحجم! سيجن «يويا» لو رأى هذا المشهد .

- من المؤكد إننا سنلتقى به .

عندئذ بدأ الكهنة يسيرون وهم يحملون أزهار اللوتس وأول من نزل من السفينة هم البحارة، ثم تابعهم الحرس حاملين رماحهم وحرابهم ، بعد ذلك بدأ العمال فى انزال صناديق مغلقة تفتح على

اليابسة أمام حتشبسوت، ثم ظهر أعضاء البعثة الآتية من «بونت» وقال كبار القوم فى بلاد بونت لجلالتها :

«سلام عليك ، السيدة الشمس التى تتألق مثل القرص آتوم، سيدة بونت، ابنه آمون، ملك الآلهة» .

كان الجمهور يتابع المشهد باهتمام شديد وانتقل البعض عند تلك الربوة حيث كانت الرؤية أفضل ولكنهم حجبوها عن الصغار، فصاح «رايا» بهستريا.

– أود أن أرى .. أرى .

لم يجد جاحوتى حلاً إلا برفع رايا على كتفه، فسعد الصبى وأخذ يسفن بدون إنقطاع .

مازالق عملية انزال البضائع الآتية من بلاد بونت مستمرة اللاتى يتم تسجيلها من الكتبة الجالسين على رصيف الميناء .

ثم ظهر رجل يسحب زرافة جعلت الجمهور يصيح ويهتف باسم الملكة من شدة الانبهار، ثم تلاها قردة مقيدة بالسلاسل وهى من فصيلة «البابون» ، ثم ظهر فهدان فى قفص يرفعه أربعة رجال .

بعد ما تم تفريغ السفن بأكملها وقفت حتشبسوت، حاكم القطرين، الشمال والجنوب.. ساد الصمت .. الانظار كلها مسلطة عليها وهى فى قمة الأبهة، كبار القوم يحيطونها وينحنون لها بينما كانت تفحص كل هذه الروائع : أشجار البخور التى انتزعت من

جذورها وقد بلغ عددها ثلاثين شجرة بالإضافة إلى سبائك الذهب الخالص وأشياء أخرى كثيرة .

اقتربت نيتوكاو من زوجها وسألته :

– من هذا الرجل الملتصق بجلالتها ؟

– إنه رئيس للقصر الملكى والباور الملكى .. وقد ساهم فى بعض الأعمال الحربية مع تحتمس الثانى .. وهو أيضا مهندس معمارى . شيد مسلة، ومعابد عديدة .

ثم أخذ كبار القوم فى بلاد بونت يتوافدون وقد انحنوا «لماعت كارع» ثم قدموا لها الهدايا .

كانت جلالتها تتأكد من تسجيل كل البضائع من قبل الكتبة وتأمر بتحديد كل ما سيخصص لمعبد آمون بالكرنك .

جلست الملكة لتراقب احصاء خيرات بلاد بونت وعدها بعناية فائقة، قام المختصون بالقياس وبالوزن. ارتسمت علامات السرور على وجه ملكة مصر العليا والسفلى لأن من الآن وصاعد سوف تؤدى المراسم الدينية بالبخور النقى . وهذا لم يحدث من قبل في تاريخ أجدادها .. ثم قامت حتشبسوت لتجرب إحدى المساحق، فأخذت فى يدها الدهان العطرى المقدس ووضعته فوق بشرتها وسرعان ما أضفى عليها لونا براقا وأصبح عطرها يسكر الحاضرين وتحولت بشرتها وأصبحت فى لون الذهب الخالص، فتألقت مثل النجوم .

أراد جاحوتى أن ترى« نفرت» هذا المشهد، فوضعها هى الأخرى على كتفه لكى تحظى برؤية «ماعت كارع» المباركة .

انتظم الموكب مرة أخرى، استعدادا للعودة .. رفعت حتشبسوت صولجانها لكى تحيى الجماهير ، ثم أمسكت يد تحتمس الثالث واتجهت إلى الأسطول الصغير لتعبر به النيل وتصل إلى الدير البحرى .. فانطلقت أصوات الأبواق وسط الحماس الشعبى بعد إنتهاء هذه المراسم، ذُبح ثور لكى يوزع كأضحية .

فرصة العمر

بعد إنتهاء مراسم الاحتفال، تزاحمت الجماهير حول منافذ توزيع الأضحية والخبز والجعة والحلوى ولكن نخت وتسورى انطلقا إلى الميناء ليشاهدوا عن قرب تلك السفن التى قامت بتلك المغامرة التاريخية وهناك وجدا «يويا» جالسا أمام السفن ، ينظر إليها وكأنها أسطورة .

لاحظ بحار فى السفينة وجود الشباب، فأشار إليهم بالصعود مما جعل «يويا » في منتهى السعادة فما يحدث الآن يفوق الخيال ... إنه سيحظى بالصعود على ظهر أعظم سفينة من أسطول حتشبسوت ... انحشرت الكلمات فلم ينطق بكلمة .. ناب عنه نخت وسأل البحار :

– كيف كانت الرحلة سهلة أم صعبة ؟

– ونحن نسلك نهر النيل كانت سهلة حتى بحيرة التمساح أما فيما بعد فلم تكن سلسة .

قاطعه تسورى قائلا :

– هل هى مليئة بالتماسيح ؟

تجاهل البحار سؤال الفتي واستطرد قائلا :

– سلكنا بصعوبة الممر الذى كان يربط تلك البحيرة بالبحيرات المرة، لم يكن عميقا بالقدر الكافى فكان علينا أن نتحرك بحذر خوفا أن تغرس السفينة فى القاع .. ثم وصلنا إلى البحر .. فكانت هناك أخطار أخرى .

كان «يويا» يتابع كلام الملاح وفى نفس الوقت يفحص بعينيه كل جزء فى السفينة : الأخشاب، السارية، الحبال ، القردة التى كانت تتسلق السارية والراية المستطيلة الشكل .

– هل قامت معارك بينكم وبين أهل بونت ؟

– لا إطلاقا .. فكان الهدف الأول من الرحلة هو التبادل التجارى، وانتشار حضارتنا، لذلك أرسلت ملكة مصر العليا والسفلى تمثالا رائعا يجسم ماعت كارع وآمون رع .. وقد حلى بالأحجار الكريمة !

– هل بلاد بونت تشبه بلادنا ؟

– لا فكل شىء مختلف، فهناك غبات كثيفة وتسكن الأهالى فى أكواخ قمعية الشكل مرفوعة فوق عدة أوتاد يمكن دخولها بواسطة سلالم ومغطاه ببعض الحصير المثبت .

– كيف كان الاستقبال ؟

كان استقبالا وديا للغاية ، جاء الملك والملكة يرافقهما ابنه وابنته .. وكان الملك يتزين بحلقات معدنية فى ساقية، أما أعناقهم فكان يلتف حولها عدد من العقود وكانوا يحملون خناجراً فى أحزمتهم. وكانوا فى غاية الدهشة من وجودنا فى بلادهم وقالوا «كيف حضرتم هنا فى هذا البلد الذى لايعرف المصريون» ؟

– كيف تعايشتم مع هذه الحيوانات الغريبة ؟

ضحك الملاح وقال :

– انكم حقا شباب فضولى !

أشار نخت إلى يويا قائلا :

– إن صديقنا «يويا» يعشق المراكب .. أنه يصنع كل يوم مركبا من البردى لأنه يحلم أن يطوف البحار ويرى البلاد البعيدة التى انتصر عليها ملوك مصر .

نظر إليه البحار بشفقة قائلا :

– كل شباب «طيبة» يحلم بذلك .

امتلأ المكان فجأة بصراخ حاد. كان الصوت يأتى من أعلى السارية لدى قردين يتشجران ويقفزان فى كل الاتجاهات .. أصدر البحار أمرا صارما فتوقف الشجار فى الحال .

شكر الشباب البحار وعادوا إلى ساحة الاحتفال المزدحمة كان «يويا» مازال متأثرا بما رآه .. وتمتم :

– كمْ هى جميلة .. يا إلهى!!

سأله تسورى :

– من ؟ مريت ؟

لكزه «يويا» وقال :

– من مريت ؟ أنا أتكلم عن السفينة طبعاً !

أضاف نخت بسخرية :

– ألم تلاحظ يا تسورى كم تشبه المراكب التى يصنعها «يويا» بمراكب الأسطول الملكى ؟

أدرك «يويا» الدعابة فاندفع لكى يضرب نخت الذى انطلق جريا فى إتجاه الكرنك وعندما لحق به يويا وسط الزحام جاء التصادم عنيفا، فأوقعهما على الأرض، فالتف حولهم الناس وخرج صوت رقيق ينادى .

– نخت ؟ يويا ؟ ماذا حدث ؟

لملم الفتيان أنفسهما بينما لحق بهما تسورى مسرعا . كان المشهد يبدو من أول وهلة غريبا : نخت ويويا على الأرض وبجوارهما «مريت» .. التى كانت متألقة فى ردائها الأبيض الكتانى وفى تسريحتها، فشعرها الأسود مجدول فى ضفائر صغيرة يتدلل منها خرز فى لون الفيروز .

قالت مريت فى هدوء :

– لقد تعرف أبى على والدك من خلال خالى «باناب» فهم جميعا مجتمعون الآن بجوار الكرنك ، الكل مهتم بمعرفة ظروف الحياة فى أبيدوس وفى محاصيلها وأعيادها .

– إذن لم يلحظ أحد غيابنا .

قالت مريت بكل ثقة :

– أنا لاحظت .. أين كنتم ؟

– كنا عند السفن، دعانا بحار لمشاهدتها .. إنها فعلا ضخمسة، يصل طولها سبعين قدما وبها ٣٠ مجدافا !

أضاف يويا ضاحكا .

– وبها قردين لكل شراع !

قالت لهم مريت فى نبرة عتاب .

– لأنكم انشغلتهم بالسفينة، لم تشاهدوا الملكة وهى تغادر «طيبة» ومعها تختمس الثالث .. الشبه بينهما كبير كأنه ابنها .

– كيف رأيت هذا الشبه من بعد؟ هل لديك عيون صقرية مثلى ؟

قالت مريت .

– لاصقرية ولا شىء .. الحكاية إننى تسللت إلى الصفوف الأولى ورأيتهما عن قرب .

تذكر تسورى المعلومات التى أدلى بها والده عن نصب العائلة الملكية وقال :

– لاعجب فى ذلك، فماعت كارع تزوجت أخاها غير الشقيق الذى أنجب هذا الطفل من إحدى زوجاته فلابد أن يشبه «خالته»

ثم سأل تسورى مريت :

– وأنت يا مريت، لمن تشبهين؟

– أشبه جدتى وأنا البنت الوحيدة بين خمسة صبيان .

– ولماذا لم يحضروا معك ؟

– لأنهم مشغولون فى أعمال الحصاد.... فأيام الفيضان قريبة.

فجأة ظهر «رايا» ممسكا فى يده اليمنى ثمرة دوم وبالأخرى حلوة مصنوعة من القمح ومحلاة بالعسل مما جعل شفايفه ووجنتيه متسختين .

قالت :

– أعطينى قطعة من فضلك يا رايا .

وضع رايا فورا يديه وراء ظهره قائلا :

– أنت لا :

خطف تسورى ثمرة الدوم من وراء ظهر أخيه وقال له :

– لو شاطر ، الحق بى !

أخذ الأخير يجرى بكل جهده ليمسك بأخيه وعندما فشل بدأ يبكى، فأسرع تسورى وضمه إلى صدره وأعطاه الدومة .

كان الشباب يتابع المشهد مستنكرا فى البداية تصرفات تسورى، ثم أدركوا أنه لايريد الأذى لأخيه الصغير .

ثم فاجأتهم مريت قائلة :

– سوف نرحل بعد غد إلى أبيدوس .. فرحت بكم واستمتع أبى مع أهل طيبة .

لم ينطق تسورى بكلمة بعد سماع الخبر .. بل سكن الحزن عينيه .

أردف «نخت» قائلا :

– مادامت طيبة أعجبتكم، سوف تعودوا مرة أخرى، أليس كذلك؟

أجابت «مريت» بصوت حزين :

– لا أعلم .

(١) حجر متعدد الألوان : أبيض شفاف، أحمر، أصفر .

أضاف «يويا» بحماس :

– كيف لاتعلمين .. ألست تعلمين كيف أشعلتى قلب هذا الشاب الذى لايتمنى أى شىء إلا أن تكونى شريكة حياته ؟

نظر «تسورى» نظرة إمتنان لصديقه لانصافه وبدأ يردد لمريت كلمات الشعر الذى كان أبدعها منذ أيام . تلون وجه الفتاة بلون الرمان وهمست :

– سأنتظرك يا «تسورى» فى بيتنا، أقصد فى بيت خالى، لتبلغ أبى بالأمر ، أى أنك تريد الارتباط بى كرفيقة حياتك،

غمرت السعادة قلب تسورى، فرقعوه على أكتافهم كالبطل المنتصر من معركة ضارية وصاحوا :

– يحيا الحب، تحيا أبيدوس ، تحيا طيبة .

تجمع حولهم شباب فى مثل سنهم ورددوا معهم الهتافات .

جولة مع الحبايب

كان جاحوتى فى هذا الوقت مع صديقه باناب ومجموعة أبيدوس .. كان سعيدا بمصاحبتهم فى ردجات الكرنك الذى لايسمح بدخوله إلا فى المناسبات الرسمية .. قال لهم :

– انظروا لهذا الصرح، فقد أمر ببنائه تحتمس الأول التى تنعم روحه الآن فى «الدُوات» ، انظروا لتلك الأعمدة .. هنا، تمر المواكب الملكية .

ثم انتبه جاحوتى حيث إنه شعر أن شخص ما يستمتع إليه باهتمام. كانت هيئته مختلفة عن جموع الزائرين : فشعر رأسه محلوق تماما وحاجبيه أيضا، وكان يرتدى ملبسا شديد الاناقة وصندلاً فى قدميه. عندما أقترب منهم سألهم :

– أنتم غرباء، أليس كذلك ؟

أجاب جاحوتى وهو يشير إلى المجموعة التى تصاحبه :

– إنهم من أبيدوس .

– أهلا بكم فى طيبة! أبيدوس أعظم مكان في مصر كلها حيث يوجد فيها جبانة ملوك مصر منذ أقدم العصور .

إنها مدينة مباركة حيث دفن فيها رفات الآله «أوزوريس» .

قمت بالحج إليها أكثر من مرة، أبيدوس لها وضع خاص عندى شعرت المجموعة بفخر لسماع تلك المديح الذى رفع من

شأنهم، فهم فلاحون متواضعون أمام هذا الكاهن رفيع المستوى الذى دعاهم لزيارة الكرنك.

– تابعونى، سوف تشاهدون شيئا رائع الجمال. لقد قامت ماعت كارع، الكاهن الأعظم للبلاد، ببناء هذه المقصورة الصغيرة وهذا الناووس (١) وهو أجمل ما أبدعته الملكة فى الكرنك.

توقفت المجموعة من شدة الانبهار أمام الناووس .

– يا إله، ما اسم هذا الحجر، ومن هو هذا الفنان الذى أبدع هذا التمثال ؟

– إنه من الجرانيت الاسود.

وقال آخر :

– أمنيتى أن أشاهد قدس الأقداس!

أجاب الكاهن بأسف :

– هذا مستحيل يا ابنى، لأنه مكان مقدس وطاهر، لايجب أن يدخله إلا الكهنة.،عليك أن تعلم أن المعبد هو الشكل المصغر للكون، فهو يستقطب الطاقة الآلهية . علينا نحن كهنة المعبد، أن نجعل هذه الطاقة مستمرة للأبد .. إن قدس الأقداس يحتوى على الصورة الالهية، نقدم له كل يوم ما لذ وطاب ولكنه يأخذ منه طاقته فقط .. نقوم أيضا بتبديل ملابسه، ثم نزينه بأثمن الحلى الذى يحفظ فى حجرة صغيرة .. ولكل مناسبة حلى مختلف، تاج، صولجان، أساور.. وفى النهاية يعطر التمثال بالزيت النقى ..

(١) المكان المخصص لتمثال الآله فى المعبد.

سكت الكاهن وسأل الزائرين :

– لعل هذا الوصف يعوض لكم عدم رؤيته ؟

– ولكن تلك الحلى الثمينة ، ألم تغر اللصوص ؟

– إن المعبد له حماية من عند الآلهة يا بنى .

تعبت «نيتوكاو» من حمل «نفرت» ، فأخذها جاحوتى بين ذراعيه، فبدأت الصغيرة تنتبه لما يدور حولها ثم ركزت نظراتها على جدار المعبد .

ابتسم الكاهن الذى كان يتابع الموقف وأشار إلى الجدار قائلا :

هذا منظر يعبر عن احتفالية رسمية لحفلات التتويج هاهى حتشبسوت وهى تركع أمام آمون الذى يباركها ويتوجها ..وهنا تقوم بأداء الطقوس، وهى مرتدية ملابس الرجال وملتحيه بذقن مستعار . يوجد بجوارها تحتمس الثالث، هل لديكم وقت لكى تشاهدوا شيئا آخر ؟

فجأة، وكأنه الرد على سؤال الكاهن ، انفجرت «نفرت» فى البكاء مما أحدث صد فى المكان.. شعرت الصغيرة بجوع شديد وأعلنت عنه بوضوح. أسرع جاحوتى وزوجته خارج المعبد، بينما استمر الكاهن فى الحديث عن إنجازات حتشبسوت داخل وخارج طيبة .

البناء والتشييد

بداية من العام السابع وحتى العام السادس عشر شملت الملكة مصر بأكملها بمختلف أنواع التشييد والبناء ونصب سننموت كرئيس أعلى لكافة الأعمال الملكية . بالإضافة إلي معابد الأقاليم ، التى شيدت حتشبسوت كماً هائلا من الصروح فى عاصمتها، أهمهم المعبد الجنائزى «الدير البحرى» .

فى البداية ، ركزت حتشبسوت فى توسيع معبد الكرنك. كان مدخل المعبد يقع عند الصرح الرابع عندما نصبت حتشبسوت ملكا، فبعد الصرح الخامس تعدد وتنوعت المنشآت دون توقف حتي العام السابع عشر من حكمها : عملت علي إصلاح البوابة التالية للصرح الخامس وترميمها، ونقشت علي الجدار الشمالي عملية تطهيرها .

وعدداً من الغرف كانت تستخدم كمخازن للأشياء الثمينة المخصصة لأداء الطقوس، لتمارس طقوس العبادة تحت اشعاع الشمس. ولكن أجمل ما أبدعته الملكة فى الكرنك هى المقصورة الصغيرة أو الناووس المصنوع من حجر «الكوارتزيت»(١) الأحمر، كان ينقسم إلى جزءين بواسطة باب داخلى، وبهو، ثم قدس الأقداس . وبداخله نصبت الملكة تمثالين متجاورين جالسين، الأول لتحتمس الثالث والثانى لها .

(١) حجر متعدد الألوان : أبيض شفاف ، أحمر ، أصفر .

نصبت أيضا فى الكرنك مسلتين كبيرتين من الجرانيت الوارد من أسوان طولهما ٣٠ مترا. لقد استغرق تشييد المسلتين وقتاً طويل، ربما منذ بداية حكم الملكة، قبل العام الثانى. ويبدو أن هاتين المسلتين قد كسيتا بأكملهما برقائق من الذهب. وأمام الصرح الثامن، وضعت تمثالين لتحتمس الثانى من الجرانيت الوردى.

وفى مدينة «هابو» على الضفة الغربية، يوجد معبد صغير كان قد بناه أمنحتب الأول، وأكمله تحتمس الأول – والد حتشبسوت – وتحتمس الثانى – زوجها ، أضافت الملكة ست حجرات إلى هذا المعبد الرشيق، ذات الشكل الواضح والبسيط .

اهتمت حتشبسوت أيضا باعادة فتح المناجم القديمة الواقعة فى شبه جزيرة سيناء، ففى هذه المنطقة الجبلية توجد مناجم النحاس والأحجار المنبثقة منه، مثل حجر الفيروز والملاخيت .

ولكن يبقى معبد الدير البحرى أعظم إنجاز معمارى والذى صممه سننموت.

نهاية الرحلة

في الخارج، أسرعت نيتوكاو فى أطعام ابنتها من ثديها .. كانت الساحة أقل زحاما مما كانت .. بعد حين، تيقظا أن هناك هتافات تثنى على الحب وأبيدوس وطيبة ، اتضح لهما الموقف برمته عندما شاهدا تسورى على أكتاف الشباب، عندما اقترب الموكب من جاحوتى ونيتوكاو، نزل تسورى على الأرض و«رايا» بجانبه :

– منذ متى أصبحت بطلا فى طيبة يا تسورى ؟

– سوف أشرح لك الموضوع فيما بعد يا أبى .

– ولكن أين كنت يا تسورى؟ كان لابد وأن تكون معنا فى زيارة الكرنك لأن الفرص محدودة طوال السنة ، أنا لاحظت أنك لاتهتم بالأمور الدينية بما فيه الكفاية ..

بالإضافة أننا تعرفنا على تلك العائلة القادمة من أبيدوس .

اندهش تسورى وصاح :

– عظيم ! أنت الآن تعرف والد «مريت» التى ستغادر طيبة بعد غد للأسف.. أبى أريد أن أتزوج مريت !

– ليس عندى مانع .. على بركة الله .. من حقك أن تتزوج وتكوّن أسرة . يجب إذن أن نقوم بزيارة العائلة فى أقرب وقت .

– متى ؟ غداً ؟

– وهو كذلك ، إنهم داخل المعبد الآن .. خرجنا لأن «نفرت» قامت بإزعاج المجموعة .. ولكن لا أعتقد أننا سنواصل الزيارة .

قالت نيتوكاو .

– إننى متعبة وأفضل العودة إلى منزلنا .

أخذ منها جاحوتى «مريت» لتركب «نيتوكاو» الحمار، فأمسك «رايا» بلجام الحمار وصاح :

– أنا .. حمار ، أنا .. حمار !

– داعبه «تسورى» قائلا :

– طبعا ، كلنا نعلم ذلك !

إنه يوم غير عادى .

يوم حافل بالأحداث.

عادت فيه سفن فرعون مصر بسلام .

عادت ومعها ثروات أبهرت المصريين.

استمتع الشباب برؤية أسطول ماعت كارع .

زارا نيتوكاو وجاحوتى معبد الكرنك .

وتسورى قادم على مرحلة جديدة ..

فى الطريق ، قالت نيتوكاو لزوجها :

– الآن أتذكر الماضى... أتذكر اليوم الذى التقيت بك .

– كانت أيام رائعة فالحب له سحر خاص .. أتذكر كيف سحرتنى أمك وأنا شاب فى مثل سنك يا تسورى ، رأيتها المرة الأولى فى السوق وكانت تبيع ثمار التين .

كانت لها طريقة خاصة لجذب الزبائن وتقول : «على قد الشوق اللى فى التين، بأحب التين» .

وتسأل النسوة قائلة :

يا ست الستات، حلوتك دى من أكل التين؟

وكانت تداعب الأطفال وتخفى وراء ظهرها الثمرة وتسألهم «التينة على اليمين أو على الشمال؟».

كنت أراقبها كل يوم من شدة إعجابى بها .. ولم أهتم ببيع الخروف الذى أتيت من أجله إلى السوق. وعندما تغيبت «نيتوكاو» بعد إنتهاء موسم التين، جن جنونى وبحثت عنها فى كل مكان حتى وجدتها.. واعترفت لها بحبى وطلبت منها أن تشاركنى حياتى .

فى الطريق قابل جاحوتى قارىء مقياس النيل فسأله عن ميعاد الفيضان، فأجاب أن الفيضان سيأتي قبل ميعاده هذه السنة. فهو على الأبواب.

نظر جاحوتى لابنه وقال :

– لابد أن تؤجل الزواج يا تسورى .

اندهش تسورى وسأل أبيه عن السبب .

– لأن الفيضان على الأبواب وانت تعلم جيدا أن المياه تغطى كل شبر من الأرض وأننا سنرحل إلى البر الغربى كما حدث فى الأعوام السابقة لنشارك فى بناء المعبد الجنائزى لحتشبسوت .

– أين المشكلة يا أبى، ستأتى «مريت» معنا .

– لا يا ابنى .. إن الحياة هناك ليست سهلة .. على أى حال سوف نعرض على العروس هذا الحل وعلى أهلها أن يختاروا ما هو أفضل لابنتهم ، لماذا لاتنتظر حتى ينتهى الفيضان ونعود إلى ديارنا.

أضاف تسورى بحزن :

– بعد ثلاثة أشهر !

عندما وصلوا إلى المنزل ، قالت نيتوكاو :

عندما وصلوا إلى المنزل ، قالت نيتوكاو :

– سأذهب إلى الفراش ، لا تنسوا الادعية للآله «خنوم» لكى يأتى الفيضان ثريا .

بقى تسورى مع أبيه وسأله :

– أراكم كل عام تقلقون فى فترة الفيضان ، هل حدث مرة أن غاب الفيضان أو جاء بمياه شحيحة ؟

– لم أعش تلك التجربة ولكن حدث ذلك عدة مرات فى تاريخ مصر لذلك يقوم الفرعون بطقوس خاصة كل عام وكأنه يعقد إتفاق مع النهر . فى ذلك اليوم يراقب فرعون مصر الدوائر التى تظهر فى النيل وبمساعدة السحرة ورجال الدين يلقى فى دائرة مميزة عدداً من التمائم ، وخبز وحلوى ويطلب من «هابى» أن يطعم شعبه . ولارضاء النيل (الذكر) يقدمون له تماثيل فتيات.

– إذن ، فكل شئ على ما يرام ، لا داع من الخوف .

– هذا فى علم الغيب يا بنى .. هيا ، أذهب الآن إلى الفراش لدينا أعمال كثيرة غدا.

فى ثوان ، سقط تسورى فى نوم عميق .. كان يسبح فى النيل بصعوبة فائقة لأنه كان يسير عكس التيار ... ثم رأى شخصاً يطلب النجدة من الغرق ، وعندما أقترب أكتشف أنها «مريت» ، فقام بانتشالها من الماء وسرعان ما لاحظ أن هناك أكثر من واحدة تغرق فى النيل وكلهن يشبهن «مريت» . اختلطت صورة تماثيل الفتيات بصورة مريت .. فأصيب تسورى بذعر لأنه سيعجز عن إنقاذ هذا العدد .. وفجأة وكأن كل التماثيل إجتمعت وكونت شخص واحد ، ظهرت «مريت» وكأنها عملاقة فى وسط النهر ، امتلأ قلبه بالرعب لرؤية هذه المخلوقة العجيبة التى إقتربت منه ووضعته على كفها قالت له لدى القدرة أن أكشف لك اسرار الكون .. هل تريد رؤية النيل السماوى ؟ لم تنتظر «مريت» الاجابة ، فوضعت تسورى فى كفها وطارت فى إتجاه السماء.

والغريب أنها كانت تغنى تلك الغنوة التى سمعها من قبل على ضفاف النيل والتى جعلته يقع فى حبها . ولكن ماذا تقصد بالنيل السماوى ؟ هل تخفى السماء أشياء مثل النيل ؟ وهل كل ما يوجد على الأرض له مثيله فى السماء ؟ فجأة أصبحت الرؤية معدومة من كثرة السحاب . أراد تسورى أن يرسل أشارة لمريت من خلال كفها ولكنه لم يجده .. فذعر .. أين هو الآن ؟ هل هو معلق فى الجو ؟ هل سيسقط على الأرض ؟ . هل سيستطيع الطير ؟.

– ماذا تفعل يا تسورى ؟

فتح تسورى عينيه ونظر حوله فوجد «نيتوكاو» تنظر إليه مبتسمة.

– إنه حلم عجيب يا أمى .. لا ليس عجيب بل مخيف !

– لابد أن تلبس حجاب يحميك من الجن...

نهض تسورى بصعوبة لكى يبدأ يومه .. كانت أمنيته أن يذهب فورا لمنزل باناب ، دون أى مقدمات أو ترتيبات ، ولكنه تحمل الوضع واعتصم بالصبر .. إن أهل «طيبة» لهم تقاليدهم يمارسونها فى المناسبات السعيدة وغير السعيدة . فلابد أن تظهر العائلة فى أحسن صورة وتقدم أجمل ما عندها لأهل العروس.

جمع جاحوتى أدوات الصيد بهدف اصطياد بعض البط البرى أو الأوز من البرك المجاورة . ذهب معه تسورى ليحمل الشباك بينما جمعت «نيتوكاو» ثمار الرمان ووضعته فى سلة جميلة لاهدائها لأسرة «مريت» . عاد جاحوتى ومعه ست بطاط من الحجم الكبير مما أثار أعجاب زوجته التى قامت بتنظيفها على الفور ، فالوقت قد أذن..

عندما إقتربت العائلة من بيت «باناب» شعر تسورى أن دقات قلبه قد اشتدت قوتها ، أدرك أنه يجب أن يصيتر على عواطفه لكنى يبدو فى أحسن صورة . إن نباح كلبه «بتشو» كشف عن حضورهم . خرجت «مريت» مسرعة ، متألقة فى ثيابها الكليتانى

المرفوع بحمّاله واحدة على الكتف .. فقد وضعت الكحل فى عينيها مما زاد جمالهما ، رحبت بهم واقتربت من رايا وداعبته :

– اين الدوم يا رايا ؟

ثم نظرت لنيتوكاو وجاحوتى وقالت :

– أنا سعيدة بمعرفتكم .. اتفضلوا بالداخل ، الجميع ينتظركم كان المنزل به درجتين ، ثم صالة ضيقة وقد وضع فى ركن من أركانها بعض تماثيل آلهة المنطقة . استقبلهم «باناب» ورحب بهم وأرشدهم إلى الغرفة التالية الأكثر اتساعا وبها أماكن للجلوس وطبلية للأكل.

رحبت بهم زوجة «باناب» ووالد مريت الذى قال :

– لقد شاءت الظروف السعيدة أن نراكم مرة أخرى!

ثم قدمت نيتوكاو السلة والبط لربة المنزل .

جلس الجميع وذهبت زوجة باناب لتعد الطعام فى المطبخ ، خارج المنزل.

بدأ جاحوتى الكلام قائلا :

– لديكم شجرة سنط جميلة بالخارج.

أجاب والد مريت :

– نحن نعشق شجر السنط .. قد زرعت خمس شجرات فى أبيدوس لدى تاجر يأخذ منى الصمغ الذى استخرجه من الأشجار بثمن لا بأس به . تعلمت من جدى صناعة بعض العجائن الطيبة

عنه فهذة الشجرة ، شجرة كريمة لأن كل جزء منها من الممكن الاستفادة به .

سأل جاحوتى :

– كيف ؟

– بالإضافة إلى استخداماته فى الدباغة ، فإن أوراق السنط وزهوره تستخدم للتخلص من الديدان . والطريقة فى منتهى السهولة فالورق الذى بات طوال الليل فى الماء ، يُدق حتى يصبح عجينة على المريض أن يبتلعها .

تعجبت «نيتوكاو» قائلة :

– كل هذا فى شجرة السنط !

أضاف «باناب» .

هناك أخطر من ذلك.. إن تلك العجينة تخفف آلام الكسور عندما توضع مع اللفافات التي تثبت العضو المكسور .

أضاف جاحوتى :

– تذكرت الآن أن والدتى كانت تستخدم أوراق السنط لعلاج أمراض العيون.

– هذا صحيح ، إنك على حق .

تسورى ومريت يتابعان الحديث فى صمت ويبدو أنهما قد اكتفيا بهذا القدر من الاستماع حيث عرضت «مريت» أن يصعدا فوق السطح قائلة :

– تعال يا تسورى .. إن منظر النيل من السطح خلاب مع أشجار النخيل والدوم فى الأفق .

صاح رايا :

– أنا أيضاً .. أنا أيضا .. فوق.

بعد انصراف الشباب ، رأى جاحوتى إنها فرصة لكى يقوم بالمهمة التى جاء من أجلها :

– يا سيدي ، إن ابنتك الحبيبة «مريت» خطفت قلب ابنى «تسورى» فهو يتمنى أن تصبح ربة منزله ، فما رأيك ؟

– إن أخى وأهالى طيبة يعتبرونك من الناس الصالحين لانك على خلق أنت وزوجتك ، فلابد أن تسورى قد نال تربية طيبة تجعله شخصاً مسئولا .

سكت الأب لحظة وقال :

– ولكنى أود أن تعيش ابنتى فى بيت بمفردها.

أجاب جاحوتى فوراً :

– لا مانع إطلاقا ولكن لا يمكن بناء منزل الآن ، فليس هناك طمى إلا بعد الفيضان.

– فلننتظر إذن نهاية الفيضان .. وعندما يجهز البيت أحضروا إلى ابيدوس ، فسنكون فى انتظاركم ... وهى فرصة طيبة لزيارة مدينتنا ..

على السطح ، تسورى ومريت يتأملان سحر الطبيعة ، فالنيل ، رغم بعده وانخفاض مياهه ، يخرج منه شعاعاً فضيا ينعكس على النخيل الذى يتأرجح يمينا وشمالا وكأنهما يؤديان له التحية.

قالت مريت:

– كم هى جميلة أرض مصر!

– لذلك هى دائما مطمع لجيرانها منذ العصور القديمة.. وصل «رايا» إلى السطح وتدلى من السور ليكتشف ماذا يحدث فى الطابق الأرضى .. فرأى ربة المنزل وهى تقوم بشى البط وبتحضير الطعام والخضراوات ، فقرر على الفور الهبوط على السلم ، ممسكا به لكى لا يقع.

– إن أخاك سريع الحركة.

– نعم ، ولكنه سيكون بديناً لأنه يشتهى الأكل .

انتهز تسورى خلوتهما وبدأ يرتل الاشعار التى ابدعها من أجل حبيبته.

خجلت «مريت» من سماع أبيات الشعر وقالت :

– ان شعرك رقيق ولكن يبدو عليك القلق .

– أخشي ألا يوافق أبوك على زواجنا بسبب إنتقالك إلى طيبة.

– ولكن خالى «باناب» يعيش هنا أيضا منذ سنين.

– يفضل أبى أن يؤجل كل شئ إلى ما بعد الفيضان لأننا سنرحل إلى البر الغربى للعمل فى المعبد الجنائزى للملكة .

فهو يرى أن الاقامة هناك ستكون شاقة بالنسبة لك .

– ليس عندى مانع اطلاقاً .

– كنت حاسس أنك ستتقبلين الفكرة !

جاء صوتا من الطابق الأرضى.

– الطعام جاهز ! هيا يا تسورى ! هيا يا مريت .

كان البط المشوى يتوسط المائدة وينبسق منه رائحة جذابة للغاية وكانت ربة البيت قد وضعت أيضاً أشكالا متنوعة من الخضراوات المطهية مثل العدس المهروس بالزيت الحار وجذور اللوتس الملحة والرجلة والفجل.

وكان الخبز فى سلة مستقلة ومن الواضح أنه خرج من الفرن منذ قليل ،كان مضاف إلى عجينة الخبز بعض من السمسم والنبق.

ولكن تسورى كان مهتما فى المقام الأول بمعرفة القرار الخاص بزواجه ، سأل أبيه.

– أبلغنى يا أبى عما أتفقتم.

– خير يا تسورى ، بل هناك شرط واحد.

– ما هو ؟

– أن نبنى لك بيتا مستقلا .. وهذا مستحيل الآن وأنت تعلم السبب .

– أرتسمت على وجه تسورى ومريت خيبة الأمل ، فتعجل «باناب» قائلاً :

– ستمر الشهور أسرع مما تتوقعان ...

لم يضف تسورى كلمة واحدة ولم يمد يده نحو البط الذى يحبه.

أضاف باناب :

– إن أخبار الفيضان مطمئنة .. أراهم يرسلون كل يوم مسئولا للرى ليقرأ منسوب مياه النيل .

واردف جاحوت.

– عندما يكون «هابى» كريم ، يعم الخير فى البلاد .

ثم سأل مريت.

– هل تفضلين العودة إلى ابيدوس بالبحر أم بالبر؟

– بالبحر طبعا يا عمى .

– نتمنى بكم عودة آمنة .

إنتهى الغذاء فى جو من المودة وقام تسورى بتوديع مريت التى أصرت مريت أن تهديه الدلاية التى ترتديها منذ طفولتها لكى تذكره بها.

معبد البر
الغربى الشهير

إن المعبد الجنائزى المقام فى البر الغربى لطيبة اسمه باللغة الهيلوغفية «دجزر دجيسرو» أى «أعظم العظماء» ولكنه اشتهر بالدير البحرى بعد ما استخدمه الاقباط فى حقبة زمنية متأخرة.

بدأ العمل فيه منذ العام السابع وسار العمل حتى العام السادس عشر ، وفى الواقع ، أن المعبد لم ينته تماما أبدا .

فوفقا للتقاليد المصرية ، يجب أن تبقى عملية البناء على قيد الحياة .. وكان الجميع ، بداية من النبلاء إلى المواطنين البسطاء قد شاركوا فى العمل الجماعى مثل ما حدث فى عصر بناء الاهرامات.

إن المكان الذى أُختير من أجل بناء المعبد هو فى المقام الأول مكان مقدس ، فهنا مقابر أجداد حتشبسوت وهنا كانت عبادة «حتحور» منذ أقدم العصور.

سننموت هو المعمارى الذى خطط هذا المعبد العظيم فى هذا الموقع الجغرافى المتميز.

قامت الملكة بأداء مراسم ارساء حجر الأساس وتم سكب المياه من أجل أن تمتد جذور المعبد فى باطن الأرض .

وبداخل حفر عميقة وضعت بعض الفواكة والخضراوات :

تين ، تمر ، عنب ، كرفس ، ووضعت ايضا بعض القرابين من

لحوم ودجاج ، واضيفت أدوات البناء مثل الفأس والبلطة والمطرقة وحبات من الفضة والذهب وأخيراً أربعة رؤوس صغيرة للآلهة «حتحور» والاله «بس».

ومن الناحية المعمارية ، فهو يعتبر بمثابة معبد شبه «سبيوس» بمعنى أن المحراب قد حفر فى الصخر والباقى قد شيد بالحجر الجيرى .

وهناك طريق صاعد يتقاطع مع ثلاثة مسطحات على شكل درجات.

وقد سجلت حتشبسوت على جدران هذا المعبد طقوس تتويجها ،والولادة الالهية ورحلة بونت ، فهى ممثلة فى كل مكان فى مختلف الاشكال .،فقد مثلت على طول الممر الصاعد تجسيدا لأبى الهول ، وعلى جانبى الممر الصاعد، زرعت أشجار الجميز والتمر والمن . وعلى جانبى الممر الصاعد السفلى ، اقيمت اربع برك صغيرة ينمو فى مياهها نبات البردى .

والمعبد يبدو وكأنه قصيدة قد تصلبت فى قلب الحجر .. إنه تجسيد حتشبسوت المؤلهة وكل شئ يؤكد أن عظمة الملكة وقوتها، أنما هو شئ أبدى .

الانتقال فى البر الغربى

فى اليوم التالى ، اعلنت فرقة من البلاط الملكى فى كل القرى عن تجنيد الاهالى للاشتراك فى تشييد المعبد الجنائزى كما أعلنت عن مكان التجمع لينقل الجميع إلى البر الغربى .

انشغل جاحوتى واسرته بضم أمتعتهم اللازمة وبنقل الحيوانات إلى بيوت الفلاحين المقيمين فى الأراضى العليا التى لم يصل إليها مياه الفيضان .. أصر تسورى ورايا أن يأخذا كلبهما «بتشو» فوافق جاحوتى على مضض .

ثم ذهب تسورى بمفرده إلى شاطئ النيل ليلقى نظرة أخيرة قبل الرحيل ، فمنذ اسبوع كان منسوبه يصل فقط إلى ركبتيه والآن ارتفع حتى خصره .. وكانت المياه محملة بالعشب الاخضر فقال :

– أشكرك يا «هابى» لأك؛ جئت فى موعدك ولكنك حرمتنى من حبيبتى .

سمع صوتا يقول :

– كيف تظن إننى حرمتك وأنا كلى عطاء ، إنك تنظر للأمور بأنانية شديدة.

رد تسورى باندفاع :

– أنا لست أنانياً.

– ألم تر حبى لمصر .. كل عام اكسو أرضها بمياه محملة بالطمى الذى يحول تربتها الصحراوية إلى تربة خصبة صالحة للزراعة ؟ ألم تعلم إننى انتشر فى الدلتا من خلال فروعى السبعة لتزداد الأرض الزراعية فأصبحت مصر من أكبر الدول المنتجة للقمح؟

– ولكنهم يقولون أنك خذلت البشر أحيانا .

– هناك حكمة فى ذلك ، لا يمكنك فهمها الآن ..

– قالت لى حبيبتى أنك موجود ايضا فى السماء ولكنى لم أرك!

– أنك انانى وساذج أيضاً.

– لماذا ؟

لم يجب «هابى» على هذا السؤال ، ربما كان مرهقا من مشواره الطويل...

عندما وصل القارب الذى يحمل جاحوتى وأسرته إلى الجانب الآخر من النيل ، لاحظوا أن العمل يجرى فى المعبد الصغير الخاص بالاستقبال وهو عبارة عن ميناء للسفن.

قال تسورى :

– هذا المبنى جديد .. لم نره العام الماضى.

– لا تتعجب يا بنى ، فالعمل هنا لا يتوقف طوال العام.

نحن نقبع هنا أربعة أشهر ولكن قاطعى الحجارة والبنائين والمساحين والنجارين والحرفيين من كل الاختصاصات يعملون على مدار السنة.

وصلت كل القوارب التى تنقل الفلاحين عند الميناء ومن هنا انتقلوا إلى موقع المعبد.

انبهر الجميع بالمشهد . فقد إمتدت مساحة المسطحات العليا المرفوعة بصف من الأعمدة وقد استند المعبد على الجبل الصخرى.. فالطريق الصاعد للمسطح الثانى قد اكتمل .. ولاحظوا أيضاً أن شجيرات البخور قد تم زرعها على كل جانب من الطريق الصاعد .. ولكن أجمل ما فيه هو تداخله مع البيئة المحيطة به : الجبل ، الوادى والسماء .

اقترب منهم رئيس العمال وقال :

– أنتم مبهورين بهذا الصرح بالطبع ولابد أن تكونوا فخورين لانكم شاركتم فى هذا الانجاز . ادعو آمون أن يوفقكم اليوم والأعوام القادمة حتى ينتهى بناء المعبد.

أخذ رئيس العمال بعد ذلك بتكوين مجموعات عمل لبناء الورش والثكنات الخاصة بالفلاحين وعائلتهم ، انتشرت كل مجموعة فى جهة حيث تم توزيعهم .

اقترب تسورى من أبيه وقال له :

– كنت أتمنى أن التقى ببويا ونخت .

– من الارجح أنك ستلتقى بهم.

يحاول رايا أن ينضم إلى الكبار فيمنعه جاحوتى .. وفى النهاية ذهب رايا يلعب مع كلبه «بتشو» بينما جلست نيتوكاو لترضع «نفرت».

عند الغروب توقف العمل .. وزع الجنود الطعام والشراب لكل من فى الموقع ، بعد حين سمع تسورى نباح كلبه الذى أخذ يقفز شمالا ويمينا حول نخت ويويا . اندفع تسورى وحياهم بحرارة وأتفقوا على أن يلتقوا فى اليوم التالى .

كانت «نيتوكاو» صامتة ولم تنطق بكلمة . سألها جاحوتى عن السبب وقالت له :

– إنه شجن ليس إلا .. أشتاق إلى بيتى ، إلى جيرانى .. بالنسبة لى ، الوقت يمر ببطئ شديد ، أنتم تعملون طوال اليوم فى حين أننى أبقى هنا بمفردى دون ونيس .. وتمر الأيام يرتابة فائقة :

قال لها جاحوتى :

– إنها مجرد هواجس ... لا تقلقى ، سوف تقابلين عائلات كثيرة من قريتنا .. وبالمناسبة قابل تسورى يويا ونخت وعلم أنهما يعملان فى ورشة قريبة من هنا.

– أخشى أيضاً العقارب .. هل نسيت ماذا حدث العام الماضى «لرايا» ؟ وكيف أنقذناه من الموت ؟ أخشى أن يحدث نفس الشئ «لنفرت» ... لابد أن أحملها طوال الوقت!

– لا تخافى ، سوف نضع الشيح عند النوافذ والمدخل لا تخافى، فمعى ما يحمينا من كل أذى.

اكتمل بناء الثكانات فى اليوم التالى .. كانت البيوت قد بنيت من طوب الطمى بها نوافذ صغيرة عبارة عن مربعات صغيرة مرتفعة

بحيث تخفف حرارة الصيف الخانقة وتمنع الاتربة والاشعة والذباب من الدخول ، أما النوافذ فكانت تواجه كل منها الآخر لتجعل تيارات الهواء تمر فى الحجرة .

انتقلت العائلات فى الثكانات فى اليوم التالى حيث جفت سريعا من شدة الحرارة وذهب الرجال للعمل فى المعبد وعادوا فى الغروب . كانت علامات الارهاق على وجه جاحوتى وتسورى .

رغم ذلك ، أخذ تسورى يصف ما رآه لأمه :

– المعبد رائع الجمال يا أمى ، فالرسامون والنحاتون قاموا بنقش جدرانه بمناظر الصيد البرى والبحرى .. وفى جانب أخر من المعبد، قاموا بنقش رسومات بارزة للملكة وتحتمس الثالث وهما يقدمان القرابين والغريب يا أمى أن «مناعت كارع» ممثلة فى هيئة أبى الهول !

أردف جاحوتى قائلاً :

– إنه شئ مدهش حقا ، لم أر مثيلا له طوال عمرى ...

أضاف تسورى .

– رأينا عن قرب الشجيرات التى جاءت بها الملكة من بونت ، فقد تم زرعها على كل جانب من الطريق الصاعد إلى المستوى الأول.

حضر يويا ونحت فى هذه اللحظة :

– هيا يا تسورى نتسلق الجبل ، ونرى الفيضان من القمة.

تدخلت نيتوكاو وقالت :

– ألم تهدؤا أبدا ! أن الجبل شديد الارتفاع ، يجب أن تكونوا حذرين :

أجاب نخت :

بالطبع يا خالتى وسوف نأخذ معنا «بتشو» لكى يحمينا ، رحل الشبان الثلاثة عند الغروب بعد تناول العشاء الذى وزع عليهم من قبل مسئول التموين .. ومن حسن حظهم أن رايا كان نائما ..

وفى الطريق ، سأل نخت تسورى عن نتائج مقابلة أهل «مريت» ، فرد عليه قائلا :

– للأسف ، طلب والدها أن أبنى لها منزلا مستقلا لكى تعيش معى بمفردها .. فتأجل كل شئ بعد انتهاء موسم الفيضان.

قال له يويا بفخر :

– قبل بناء هذا المنزل ، يجب أن تستشيرنى.

نظر تسورى إلى صديقه بسخرية:

– أصبحت تفهم فى السفن وأيضاً فى البناء ؟

– بالطبع ... عندى معلومات قيمة سمعتها من شخص يعمل فى بناء المعبد منذ سبع سنوات .

وما هى تلك المعلومات القيمة؟

– لاحظ أولا أن هناك فرقاً بين بيت فلاح ومعبد جنائزى ولكن هذا شرف لك أن تقلد مراسم بناء معبد حتشبسوت .

– تكلم يا يويا بدون مقدمات !

– أسمع يا صديقى : أولا لابد أن تحدد المكان بواسطة النجوم وتحديد زوايا الجهات الاصلية : الشمال ، الجنوب ، الشرق ، الغرب.

– كيف أحدد الجهات الأربع وأنا لا أفقه شيئا فى الفلك ؟

– اتصرف يا تسورى ! ... بعد ذلك تقوم بحفر حفرة عميقة طولها مثل قامة إنسان وتضع فيها فواكه وخضراوات ليدوم الخير فى بيتك سنين طويلة.

– شكراً لكل هذه التفاصيل ... ولكن من الأفضل أن تشاركنى فى البناء لكى ترشدنى فى كل خطوة !

رغم صعوبة المشى فى الطريق الوعر ، وصلت المجموعة إلى قمة الجبل ... فتوقفوا عن النقاش وانتبهوا إلى المكان ...

كانت مياه النيل قد فاضت وأصبح النهر مثل البحر بلا حدود... إبتلع كل ما فى طريقه ... رؤوس النخيل هى الشئ الوحيد المرئى الدال على وجود أرض زراعية هنا وهناك ... أمواج صغيرة تتسابق محملة بنباتات جاءت من أوطان بعيدة .. قوة النهر مدهشة وكأنه شاب يصارع الطبيعة بعد أن استعاد شبابه ، فاندفع دون قيود وتبعثر فى كل الاتجاهات.

صمت الشبان أمام روعة هذا المشهد ، فالكلمات تعجز فى الغالب عن التعبير للأحاسيس الجياشة .

شق نباح «بتشو» هذا الصمت ... ولكنه كان نباحا شرسا ، جاء من الجانب الآخر من الجبل ، عند انحداره .. إنتبه الشباب واندفعوا جريا إلى مصدر الصوت ، ولحسن حظهم كانت ليلة قمرية، فرءوا ما أذهلهم : «بتشو» قابض بأسنانه على ثوب شخص غريب أحد يلكز الكلب بعنف لكى يتخلص منه .. عندما اقترب الشبان، لاحظوا إنه يحمل قفه يقبض عليها بيديه وكأنها شئ ثمين .. تذكر تسورى على الفور ما سمعه من قصص النهب فى مقابر الملوك فاندفع وأمسك بالشاب ونزع «نخت» القفة وسأله:

– ماذا تفعل هنا ؟ وماذا تحمل فى هذه القفة ؟

صاح الشاب .

– أتركونى ،. هذا ليس شأنكم .. أتركونى .

اقترب تسورى وفتح القفة:

– ياه ! من أين أتيت بهذه المصوغات .. وكل هذه الجهارين ... وهذه الأوانى المرمرية !

– أنها أشياء خاصة بى .. ما شأنكم بهذا ؟

– وهو كذلك ، سوف نعرض الامر على رئيس العمال لكى يحكم فى هذه المسألة .

امسك تسورى ونخت ذراعا الشاب لمنعه من المهرب وتابعهم يويا حاملا تلك القفة مع بتشو الذى لم يكف عن النباح :

– كفى يا بتشو .. نعم إنك من أشجع كلاب طيبة !

عندما وصلوا إلى الموقع ، كان رئيس العمال غائبا فتركوا الغريب مع الجنود إلى حين يصل رئيسهم .

كان جاحوتى قد نام من شدة التعب أما نيتوكاو فكانت تنتظر ابنها فى قلق شديد .. هدأت عندما رأته وأخذ تسورى يحكى لها المغامرة التى خاضها مع أصدقائه .. استيقظ جاحوتى على صوت تسورى الذى قص له الأحداث مرة ثانية وسأل أبيه :

– هل تعتقد يا أبى أنه لص ؟

– بكل تأكيد يا تسورى ، ثم ماذا كان يفعل على قمة الجبل وما هو المبرر لوجود تلك المصوغات معه ؟

إن سرقة قبور أجدادنا يحدث منذ قديم الأزل ... هل تعلم أن اللصوص سرقوا مقبرة أم الملك «خوفو» صاحب الهرم الأكبر ؟ هؤلاء المجرمون لا يحترمون قدسية الموتى ، فهم يمزقون المومياء ليتمكنوا من التمائم والاحجار الكريمة التى بداخل لفائف الكتان، ويسرقون كل ما هو فى المقبرة من مشغولات فضية وبرونزية.

– ما هو عقاب هؤلاء يا أبى ؟

– إنهم يجلدون وتقطع أذنهم أحيانا.

– ياه رغم هذا العقاب ، يغامرون بحياتهم !

ولكن ما رأيك فى ذكاء بتشو يا أبى ؟ كان شكله مضحكا وهو قابض على أوزة الحرامى .. لم أتخيل أبدا أن بتشو ممكن أن يكون شرس أإلى هذا الحد!

ثم نظر تسورى إلى كلبه.

– إنها كانت فكرة طيبة أن تكون معنا هنا فى البر الغربى .

يا أشجع كلب فى طيبة !

أضافت نيتوكاو :

– أنتم ايضا شجعان !

كان من الممكن أن تتعرضوا للأذى .. كفى كلام الآن .. تصبحون على خير.

فى اليوم التالى ، كانت قصة الجرامى محور الحديث فى الموقع كله ، والجميع يحيى يويا ونخت وتسورى وكأنهم أبطال ... عند منتصف النهار جاءهم مرسال من رئيس العمال يطلب منهم الحضور على الفور .

عند وصولهم ، شعروا أن هناك شيئاً غير عادى : علموا أن المهندس سننموت جاء خصيصا لهذا الأمر .

وطلب مقابلتهم .

كان «سننموت» جالسا وبجواره عدداً من القادة والحراس . قال:.

– بعد التحقيق مع هذا المجرم وبفضل «ماعت» إتضح أنه سرق ثلاث مقابر وأشياء أخرى من المخازن الملكية .. إن العمل الذى قمتم به شئ رائع وشجاع . أنتم هكذا خير شباب طيبة التى لا تغيب عنها العدالة بفضل حاكم القطرين . أهنئكم يا شباب ! أنتم مثل رائع للأخلاق العالية ، لذلك تستحقون مكافأة.

نظر تسورى لزملائه وكأنه يريد التشجيع منهما وقال :

– يا سيد سننموت ، لدى حلم منذ الطفولة أريد تحقيقه..

– تكلم يا ....

– تسورى ... ولكن أخشى أن يكون طلبى غريبا.

– تكلم ، سأحكم بنفسى لو كان غريبا أم لا ..

– إذن ، حلمى أن أتعلم لغة الآلهة وأن أصبح كاتبا .

نظر سننموت ليويا الذى قال مسرعا.

– وأنا أحلم أن أكون بحاراً

– وأنت؟

– أنا .. ليس عندى احلام واضحة الآن :

– حسنا ، طلابتكم ليست غريبة بالمرة وكمان مستجابة ...

فمن الطبيعى أن يهدف الانسان إلى الارتقاء ... ولكن ستتحقق أمنياتكم بعد الفيضان . أنت يا تسورى .

سأرسلك إلى مدرسة الكتبة فى الكرنك ...

– ولكنى أساعد والدى فى الزراعة.

نظر إليه سننموت بتقدير :

– لا تقلق ، سوف أوفد عاملا لكى يقوم بالأعباء الزراعية بدلا منك.

ثم قال سننموت ليويا :

– أما أنت ، من الممكن تحقيق حلمك فورا ، فمن السهل إرسالك على ظهر مركب لكى تتعلم الملاحة ، فما رأيك ؟

– أنا مستعد يا سيد سننموت ولكنى أود أولا أن استأذن والدى..

ثم وجه سننموت كلامه لنخت :

– بما أنك ليس لديك حلما ، فأنت تحب ما تقوم به ، أى الفلاحة ، لذلك سوف أعطيك أرضا تكون ملكا لك مدى الحياة!..

انحنى الشبان الثلاثة ، شاكرين سننموت ثم عادوا إلى الثكنات وقد تغير مصيرهم فى لحظة وتحقق الحلم الذى راودهم سنين طويلة.

ثورة حتشبسوت ونتائجها

إن حتشبسوت قد وضعت بمساعدة سننموت وأغلبية الكهنة خطة جديدة لإدارة شئون المملكة والحكم . لقد حاولت أن تقوي وتدعم من الفكرة المتعلقة بالوراثة الشمسية . حاولت أن تغير من قواعد الخلافة الأسرية ، ولذلك ، ففى حالة عدم وجود وريث شرعى ذكر ، أرادت حتشبسوت أن يكون التاج من نصيب الملكة ، الوريثة الشمسية الوحيدة.

ومن أجل تحقيق ذلك ، سارت حتشبسوت فى طريق وعر ملئ بالعراقيل . واصطدمت بالمعارضة الصامتة الدائمة من جانب أنصار التقاليد المعادين تماما لأى تغيرات فى القانون.

وفى نظر حتشبسوت كان تحتمس الثالث مجرد ابن زوجة ثانية، لذلك كانت سلامة الدماء الشمسية مهددة . وفى نظر حتشبسوت ، كانت هى نفسها فقط القديرة على استمرار الأسرة . ومن أجل أن تمارس الملكية كان عليها أن تتخطى كونها انثى . فهى امرأة والتقاليد تحتم أن يكون الفراعنة رجالا .

ونرى أن حتشبسوت من أجل أن تؤكد وتدعم دورها الذكرى ، ترتدى ملابس الرجال واغطية الرأس الشعائرية الذكرية بدون أى تردد . إن هذه الفكرة لم تنبثق تلقائيا فقد تطورت رويدا رويدا . وكان الشعور بذلك تدريجيا .. ولكن الملكة ترددت طوال حياتها.. ومن هنا نبع الغموض والابهام.

وعند وفاة حتشبسوت نفذ تحتمس الثالث خطة انتقامية واسعة لاغتصابها الحكم منه رغم أنها كانت تجعله يشاركها كل المناسبات ورغم أنها نقشت اسمه على كل المنشآت والمعابد.

فى البداية ، تمت عملية التدمير بشكل غير منظم واستمرت خلال حكم الفراعنة التالين ، لقد طالت يد الاضطهاد كافة نصب ومنشآت الملكة واختفى كل ما أمكن تدميره .

أما ما تبقى ، فقد عمل تحتمس الثالث على التغيير ، والتبديل أما بالنسبة للمسلات ، فلم يحطمها ولكنه أقام حولها جدارا ضخماً.

وامتد الاضطهاد إلى جميع الأوفياء المخلصين لحتشبسوت .

فقد محيت اسمائهم وكافة تماثيلهم . ويعتبر سننموت أكثر من اصيبوا بالأذى فقد دمر تابوته ليتحول إلى أكثر من ثلاثة آلاف قطعة صغيرة!

جملة القول أن مصر تمتعت خلال حكم حتشبسوت بازدهار وتألق لا مثيل له ، وارتقى الفن مرتبة من النقاء وتطور الفن المعمارى تطورا رائعا واتصف فن النحت بالنعومة والرقة والقوة فى نفس الوقت ، كما ازدهرت الصناعة وتألقت الآداب حتى ماتت حتشبسوت عام ١٤٨٣ قبل الميلاد.

سلسلة تاريخ مصر

الرعاة

وزارة الثقافة
المجلس الأعلى للآثار

الهيئة العامة لقصور الثقافة

وزارة الثقافة
صندوق التنمية الثقافية

صدرت

صدر من هذه السلسلة

- روايات تاريخ الإسلام (٢٣ جزء)

- سلسلة تاريخ مصر:

١ - مينا .. أمير الحياة
٢ - خونانوب .. الفلاح الفصيح
٣ - أوسركاف .. بردية الخلود
٤ - سنوحى .. الهارب النبيل
٥ - نفرتيتى .. أسطورة الجمال
٦ - الأهرامات .. الرحلة المستحيلة
٧ - نوسر .. قلب القمر
٨ - أيزيس .. الثأر والغفران
٩ - اخناتون .. فرعون التوحيد
١٠ - حتشبسوت .. صانعة الأساطير

رقم الايداع
٢٠٠٧/١٤٧٨٧
I.S.BN
977-07- 1255-8